



روايات مصرية للجيب



نبع الحب

Looloo

www.dvd4arab.com



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذي يروي هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين
مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التي تذيب أحجار القلوب .. وتتبت
الزهور . اليانعة في صخور المشاعر الصلدة ..
إنها الزهور التي ينشدها كل منا في لحظات اليأس .. وفي
لحظات الغضب .. وفي لحظات الكراهية .. وفي لحظات
الجفاف .. فتشيع عبيرها الفواح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والامل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شيء خلقه الله فى هذا
الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية
الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتتحرك
مشاعرنا ، وترفق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل من زهرة
إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - فارس الأسلام ..

وقف (كامل) يلتقط أنفاسه من أثر الجهد الشاق
الذى بذله منذ الصباح ، فى جمع حبات البرتقال ، من
أشجار مزرعته الصغيرة .

حينما حانت منه التفاتة إلى ابنته الشابة (سلوى) .
كانت الفتاة مستغرقة فى جمع حبات البرتقال من
بين فروع الأشجار ، وقد تهدلت خصلتان من خصلات
شعرها القصير فوق جبينها الذى أخذ يتصبب عرقاً .
بينما تدلت أطراف بلوزتها فوق حزام البنطلون
المحيط بخصرها .

تأمل الأب ابنته وهى على هذه الحال ، وقد تملكه
إحساس بوخز الضمير ، فمنذ أن أتى بها إلى هذا
المكان المنعزل ، وهى تشاركه هذا العمل الشاق ،
دون كلل أو شكوى .. عدا نظرة الحرمان التى كان
يراهها دائماً فى عينيها .. والتى تشير إليه بأصابع
الاتهام .. وتشعره بالجرم الذى ارتكبه فى حقها .

لقد أتى بها إلى الوادي الجديد منذ عشر سنوات ،
وعمرها لم يتجاوز الثانية عشرة ، لتقيم معه في ذلك
المكان النائي ، بعيداً عن المدينة ، وبعيداً عن الحياة
الاجتماعية ، التي كانت تستحق أن تعيشها أي فتاة
مثلها ليصبح هو كل عالمها تقريباً .

وقد وقع اختياره على هذا المكان بالذات ، بعد أن
قرر اعتزال الناس ، والتفرغ لتربية ابنته في هذا
المكان النائي .

جلس (كامل) على الأرض ، وأسند ظهره إلى
جذع شجرة ، بينما عيناه تحدقان في الأفق الممتد
أمامه .. وقد عاودته ذكريات ماضيه الأليم .. وحببه
القديم لـ (كوثر) .

ذلك الحب الذي ملك عليه كل حواسه ، فاستسلم
له ، وجعله لا يرى الحقيقة التي كان ينبغي عليه أن
يراه .

حقيقة امرأة لا تقيم وزناً لأي قيمة من القيم التي
تعارف عليها البشر .

امرأة أعماها الطمع والجشع .. فضحت بزواجها
وابنتها من أجل أنانيتها .

لا بد له أن يعترف بأنها لم تكن وحدها هي المخطئة .
لقد أحبها وتزوجها برغم ما كانت تنبئ عنه
طباعها ، من أنها ليست المرأة التي تصلح لأن تحمل
اسمه .. وتشاركه حياته .

لكن حبه لها جعله غائباً عن الوعي .
أثقلت عليه بمطالبها المادية التي لم تنقطع ،
فاضطر لأن يسافر ويذوق مرارة الغربة في إحدى
البلدان العربية ، من أجل أن يحقق لها جزءاً من
مطالبها .

وظل يرسل لها نقوداً من البلد الذي يعمل به ،
ويغدق عليها من كده وجهده ، محاولاً استرضاءها
بأية وسيلة .

لكن بدلاً من أن تقدر قيمة ما فعله من أجلها ،
وتضحيتها في سبيل حبه لها ، استولت على ماله الذي
جمعه بالجهد والعرق ، لتضعه في حسابها بأحد
البنوك .. ثم طالبت في النهاية بالطلاق .

وعلم بالحقيقة متأخراً .. علم أنها قد تعلقت في
غيابه بشباب أغواها بكلماته المعسولة .. واستطاع أن
ينسيها واجبها وضميرها كزوجة وأم لطفلة صغيرة .

وعندما صدمته الحقيقة طاش صوابه .. وانتابته
حالة جنونية جعلته يعتدى عليها بالضرب المبرح ..
ثم قاد سيارته وهو فى حالة من اللاوعى ،
ليصطدم بأحد الأشخاص ويتسبب فى موته .
ودخل السجن ليقضى به خمس سنوات كاملة
ضاعت من حياته .

وفى السجن اكتملت عناصر الغدر والخيانة .
طلبت الزوجة الطلاق .. وتحقق لها ما طلبته ، بعد
أن دمرت حياته واستولت على ماله .
ثم تزوجت من الشخص الذى باعت زوجها من
أجله .

عاش (كامل) سنوات السجن فى عزلة عن
الجميع ، وتملكه إحساس جارف بكرهية البشر خارج
أسواره .

وحينما غادره لم يكن له مطلب سوى استعادة
ابنته .

ولم يحتج فى سبيل ذلك إلى بذل الكثير من الجهد ..
فقد سلمته الأم ابنتها بمجرد مطالبته بها .. وكأنها
كانت تسعى للتخلص منها .

وأحسن (كامل) بأنه لم يعد قادراً على ممارسة
أية حياة اجتماعية ، بعد هذه التجربة القاسية التى
عاشها .

فسافر إلى الوادى الجديد ، واشترى هذه المزرعة
الصغيرة بما تبقى له من مال ، وبرفقتة ابنته ،
ليقضى بها بقية حياته ، يأكل من إنتاجها ، وينفق من
محصول الموالح البسيط ، الذى تدره المزرعة كل
عام بالقدر الكافى لإعاشته هو وابنته .

لقد عاشت (سلوى) معه حياة قاسية .. خالية من
المباهج التى تستحق أن تعيشها فتاة فى مثل عمرها ..
ولا بد له أن يعترف بأنه كان أنانياً فى فرضه لهذه
الحياة الخشنة عليها ، لكن .. ماذا يفعل وقد أصبحت
هذه الفتاة هى الشئ الجميل الوحيد الذى تبقى له
من دنياه الظالمة ؟

بل أصبحت كل شئ فى حياته ، بعد أن فقد الزوجة
والأهل والأصدقاء . وكيف يتسنى له أن يعيش بدونها ،
وهى الوحيدة التى تؤنس وحدته فى هذا المكان
المنعزل ، وتمنحه الدفاء العاطفى الذى يفتقده بحنان
بنوتها الدافق .

ثم .. ربما كان هذا هو الوضع الأمثل بالنسبة لهما
في ظل الظروف الحالية .

فأمها لا ترحب كثيراً بوجودها معها .. ولا أقارب
لهما يمكنه أن يتركها في رعايتهم .

وتوقف عن التفكير برهة .. كما لو كان يابى أن
يستطرد في خداع نفسه بهذه المبررات الواهية .

فهو يعلم جيداً ، أنها ليست سوى محاولات منه
لإسكات ضميره ، الذى يؤنبه بين الحين والآخر بشدة ..

بسبب هذه الفتاة المسكينة ، التى فرض عليها أن
تعيش في هذا المكان المقفر .

وأن تحرم من مواصلة دراستها ، وممارسة حياة
اجتماعية سليمة .

نهض الأب من جلسته ، واقرب من ابنته ليتأملها
بإعجاب والابتسامة على وجهه ، قائلاً لنفسه :

- يا لها من فتاة جميلة ، إن جمالها يتحدى خشونة
المكان .

لاحظت (سلوى) وجوده ، فتوقفت عن العمل
وهي تنظر إليه باستغراب ، وهي ترى تلك النظرة

المتأمل في عينيه قائلة :

***** ١٠ *****

- أبى !

ابتسم الأب قائلاً :

- أعانك الله يابنيتى .

أحست بالاغتراب لتقديره لمجهودها قائلة :

- لقد بذلت جهداً كبيراً اليوم يا أبى .. فلماذا

لا تذهب إلى المنزل لتستريح ؟

مسح الأب حبات العرق عن جبين ابنته قائلاً بحنان :

- لقد بذلت جهداً أكبر .. ومن حقك أن تستريحى

أنت أيضاً .

سألته قائلة :

- هل أعد لك الطعام ؟

قال لها الأب :

- إننى أقول (تستريحين) لا أن تبذلى جهداً آخر ..

ثم إننى لا أشعر بجوع الآن .

لماذا لا تعودين إلى المنزل ، وتستلقين على فراشك

قليلاً ؟

- إن التاجر الذى سيشتري البرتقال .. سيحضر بعد

الغد ، ولا بد من أن نسرع بجنى المحصول قبل

وصوله .. وإلا تركنا وذهب إلى مزارع أخرى .

***** ١١ *****

- لقد جمعنا تقريباً ثمانين فى المائة من المحصول ،
وبإمكاننا جمع بقية البرتقال فى الفترة المتبقية على
حضوره .. فالمزرعة كما ترين صغيرة ولا تحتاج لأن
نقتل أنفسنا فى سبيل جنى حصيلتها من البرتقال .

هيا .. اذهبي لتستريحى فى المنزل .

- ما دام الأمر كذلك .. فإتنى أفضل التجوال قليلاً .

- حسن .. ما دامت هذه هى رغبتك .. ولكن

لا تبتعدى كثيراً ، فالمكان كما تعرفين موحش .

ابتسمت (سلوى) قائلة :

- لا تقلق يا أبى .. فما زلنا فى وضوح النهار .. ثم

إن المكان برغم أنه بعيد عن العمران ، إلا أنه خالٍ
من الحيوانات الضارية .

سوت (سلوى) ثيابها وشعرها .. وغادرت المزرعة

وهى تسرع السير .

فقد كانت تأمل فى الحقيقة أن تتاح لها هذه

الفرصة .. وخشيت أن يشغلها العمل فى المزرعة عن

القيام بجولتها ، التى اعتادت أن تقوم بها خلال الأيام

القليلة الماضية .

خاصة منذ أن رأت ذلك الشاب مصادفة ، وهو

يجلس بجوار أشجار النخيل ، فى تلك الواحة الصغيرة ،
التى تبعد عن المزرعة بمسافة كيلو متر واحد .

لقد اعتاد أن يأتى إلى هذا المكان ، منذ ثلاثة أيام ،

بصورة متكررة ليجلس بجوار النبع الصافى ، وبين

أشجار النخيل ، متأملاً مياه النبع بنظرات حزينة

شاردة ولعدة ساعات .

إلى أن تبدأ الشمس فى المغيب ، فينهض مغادراً

مكانه ، ليستقل سيارته الجيب ، فى صحبة ذلك

الصمت المهيب الذى يحيط به .

حينما رآته أول مرة ، جلست ترقبه من بعيد ،

مختفية وراء إحدى أشجار النخيل ، وكأنها ترقب

كائناً جاء من عالم آخر .. أو لوحة مدهشة .

وقد أحست بإحساس غريب لم تحسه من قبل ،

ولم يسبق لها أن جربته . لقد بدا هذا الشاب بقوامه

الفارع ، وجسده المفتول العضلات ، وشعره الأسود

اللامع ، ومظهره الوقور .. وكأنه يشبه طيفاً مرّ

بخيالها ، أو ظهر فى أحلامها ذات ليلة .

كان يبدو مختلفاً تماماً عن التفت بهم من الرجال

هنا .. من الرعاة وتجار الفاكهة والعاملين فى

المزارع الأخرى ، أو بعض العاملين - الذين يمرون
بالمكان أحياناً - في حقول البترول أو مجال التعدين .
كان يشبه أحد فرسان هذه المدينة التي فارقته
وهي صغيرة ، وما زالت بعض صورها تعيش في
مخيلتها .

وعاشت منذ أن رآته ، تتخيل أنه جاء ليحملها إلى
هناك . يومها أعجزها الخوف والخجل عن أن تظهر له
نفسها ، أو تتحدث إليه .. واكتفت بمراقبته من بعيد .
لكنها تمنّت أن يأتي إلى هذا المكان مرات أخرى ،
وأن تتاح لها الفرصة لرؤيته من جديد .

لم تكن تأمل في أكثر من ذلك .. ولم تكن تطمع
حتى في أن يلحظها أو يبدى شيئاً من الاهتمام نحوها .
لقد أصبحت رؤيتها له ، هي أقصى آمانيها ، وهي
المنتفس الوحيد لها ، في ظل هذا الجفاف الذي تحياه .
كانت الشمس ترسل بأشعتها الذهبية على المكان ..
ولم تشعر (سلوى) بقيظها .. إذ كانت مشغولة البال
بالتفكير في ذلك الشاب ، وهي تتساءل عما إذا كان
سيأتي إلى الواحة هذه المرة أيضاً ، أم أنها لن تراه
بعد ذلك .

كانت في شوق جارف إلى معرفة السر وراء نظراته
الحزينة ، والدافع الحقيقي وراء مجيئه إلى هذا
المكان .

وأرادت أن تحفز نفسها ، وتستجمع شجاعته ،
لاقتحام عالمه الصامت والتحدث إليه .

واستيقظت (سلوى) من شرودها ، على صوت
الفتاة البدوية (رابحة) ، وقد أخذت تناديها ، وهي
تسوق أمامها أغنامها قائلة :

- يا ست (سلوى) .

التفتت (سلوى) إليها قائلة :

- أهلاً (رابحة) .

سألته (رابحة) قائلة :

- لقد ناديتك كثيراً لكنك لم تجيبيني .

- آسفة .. لقد كنت شاردة .

- ولم هذا الشرود ؟

- (رابحة) .. هل مررت على النبع وأنت قادمة

إلى هنا ؟

أجابته رابحة قائلة :

- إنني آتية من هناك على الفور .

قالت لها (سلوى) متلعثمة :

- ألم ترى أحدًا هناك ؟

ضحكت (رابحة) قائلة في خبث :

- كلا .. إن الشخص الذى تبحثين عنه لم يكن موجودًا هناك .

اضطربت (سلوى) وقد تضرج وجهها بالاحمرار

قائلة :

- شخص !؟ أى شخص .

قالت لها (رابحة) وهى تواصل ضحكاتها :

- الشاب الزين .. الذى تراقبينه منذ يومين .

ارتبكت (سلوى) قائلة :

- ما هذا الذى تقولين ؟

قالت لها (رابحة) مطمئنة :

- ماذا بك يا ست (سلوى) ؟ أتظنين (رابحة) ..

خادمك وصديقك هنا تفشى السر ؟ يجب أن تتقى

بى ، وتطمئنى تمامًا .

قالت (سلوى) محاولة الإنكار :

- أى سر هذا الذى تتحدثين عنه ؟ لا بد أنه قد

أصابك خبل .

- سامحك الله يا ست (سلوى) .. لقد رأيتك وأنت

ترقبين هذا الشاب من وراء أشجار النخيل ، عند

الربوة المظلة على النبع ، وأعرف أنك تميلين إليه .

قالت (سلوى) وقد أحست بأنها لم تعد تستطيع

الإنكار ،

- أنا !؟

- نعم .. لكن لماذا لا تحاولين التحدث إليه ؟ حقًا

إنه يبدو متجهماً وعابسًا دائمًا .. لكن ربما لو حاولت

التحدث إليه ..

قالت لها (سلوى) مقاطعة :

- إياك أن تخبرى أبى بهذا الأمر .

- لقد أخبرتك ، أنتى لن أبوح بسرک مطلقًا .. لو

تعرفين مقدار حبى لك يا ست (سلوى) .

إننى أشعر بأسى .. لأنك تعيشين فى هذا المكان

الذى لا يناسبك .

إننى وغيرى من الفتيات البدويات ، تعودنا الحياة

فى مثل هذه الأماكن ، وحياتنا القبلية تغنينا عن

الإحساس الذى تشعر به فتاة نشأت فى المدينة مثلك ،

بالوحدة وخشونة الحياة هنا .

ولا أدري لماذا يحكم عليك أبوك بالحياة في هذا
المكان !؟

- إننى راضية بحياتى هنا .

- أتخدعيننى أم تخدعين نفسك ؟ إننى أعرف أنك
تضيقين بحياتك هنا .. وأنتك تتطلعين للرحيل إلى
المدينة .

وربما ساعدك هذا الشاب على ذلك .. وانتشك من
تلك الحياة .

قالت (سلوى) معترضة بغضب على كلمات
البدوية .

- (رابحة) .. ما هذا الذى تقولينه ؟

- إننى أحاول ..

قاطعتها (سلوى) قائلة :

- هيا اذهبي بأغنامك من هنا الآن .

مطت (رابحة) شفيتها قائلة بدلال :

- كما تشائين .. لكن يجب أن تعرفى وتتأكدى ، أن

(رابحة) تحبك وتتمنى لك الخير والسعادة .

ابتسمت (سلوى) وهى تراقب الفتاة البدوية فى

أثناء ابتعادها .

***** ١٨ *****

كانت تعرف أنها تحبها ، وأنها صادقة فى مشاعرها
نحوها .

لكنها أحست بالغضب نحوها ، لأنها كشفت سرها
الذى حافظت عليه ، واحتضنته بين جوانحها خلال
الأيام الماضية .

أقبلت (سلوى) على الربوة العالية ، التى تطل
على الواحة بشوق ولهفة ، وهى تمنى نفسها
برؤيته .

لكن سرعان ما أصيبت بخيبة أمل .. عندما لم
تجده جالساً فى مكانه المعتاد ، بل رأت مجموعة من
الرعاة ، وقفوا يسقون إبلهم من مياه النبع .

أحست باضطراب شديد .. واكتسى وجهها بمسحة
من الحزن ، وهى تتساءل :

- لماذا لم يأت إلى النبع اليوم كما اعتاد فى الأيام
السابقة ؟

أىكون قد أتى وانصرف ؟

لكنه لم يعتد أن يرحل بمثل هذه السرعة .

ربما حينما رأى الرعاة يحيطون بالنبع ، أثر
الابتعاد وقرر أن يعود من حيث أتى .

***** ١٩ *****

أم يكون قد ملّ الحضور إلى المكان ؟ أو ربما غادر
الوادي بأسره ؟

اجترفها شعور بالأسى ، حينما وصلت إلى هذه
المرحلة من التفكير .

فقد بدأت تعتاد رؤيته .. وأحست بافتقاد شديد له
برغم أنها لم تره إلا بضعة أيام قليلة .

لكن هذه الأيام القليلة ، جعلتها تتعلق بهذا الشاب
المجهول ، الذي لا تعرفه .. ولم تتحدث إليه .

استغرقها هذا الحزن المفاجئ وهي تتساءل في
حيرة :

- هل شاء لها القدر ، أن يظهر هذا الشخص في
حياتها كبرق خاطف ، ليحمل لها مشاعر لم يسبق لها
أن عرفتتها ، وآمالاً لم تحلم بتحققها ، ثم يختفي فجأة ،
لتخمد المشاعر التي استيقظت ، وترحل الآمال التي لم
تتحقق .. ولا يبقى لها سوى ظلمة حياتها الموحشة ؟
واستيقظت من مشاعرها الحزينة وأفكارها المضطربة
على صوت رخيم يأتي من خلفها قائلاً :

- ماذا تفعلين هنا ؟

خفق قلبها بشدة .. وأحست باضطراب شديد ،

***** ٢٠ *****

جعلها غير قادرة حتى على أن تستدير لترى من
يحادثها .

لكنها اضطرت لأن تلتفت خلفها ، حينما كرر محدثها
سؤاله لها .

وازداد قلبها خفقاً .. حتى إنها أحست بأنه يكاد أن
يتوقف عن النبض ، فقد كان محدثها هو نفسه ذلك
الشاب الذي جاءت لتراه .

★ ★ ★



***** ٢١ *****

٢ - لقاء النبع ..

عجز لساتها عن النطق وهي تراه ماثلاً أمامها .
فسألها قائلاً :

- هل أنت بكماء ؟

ازدردت لعابها وهي تنطق بصعوبة قائلة :

- لقد .. لقد فاجأتني .

قال بجفاء :

- إذن .. فأنت تستطيعين الحديث .. هل تخبريني

إذن لماذا كنت تراقبينني خلال الأيام الماضية ؟

تضرج وجهها بالاحمرار ، وقد أحست بالخجل

الشديد .

إذن .. فقد كان يعرف أنها تراقبه .

لكن لماذا لم يبذ عليه ذلك ؟ وكيف تسنى له أن

يعرف ؟

سألها قائلاً :

- لماذا لا تجيبين ؟

قالت له محاولة الدفاع عن نفسها :

- إننى لم أفعل ذلك .. لقد اعتدت المجيء إلى هذا
المكان من آن لآخر .. لقد أخفنتى بظهورك المفاجئ
هكذا .

حدجها بنظرة فاحصة قائلاً :

- حقاً .. أتظنين أننى لم أكن أراك ؟ ماذا تريدان
منى ؟

قالت له بصوت مضطرب :

- ما الذى تريده أنت منى ؟

قال لها بجفاء :

- إننى لا أحب المتطفلين .

قالت له محتجة :

- لكنى لست متطفلة .. أنت الذى تطفلت على الآن .

نظر إليها وفي عينيه تساؤل قائلاً :

- إننى لا أدرى .. ما الذى تفعله فتاة مثلك هنا ؟

أجابته قائلة :

- إننى أقيم على بعد كيلومتر من هنا .

قال لها بدهشة :

- فى هذا المكان النائى ؟

- إننى أعيش مع أبى فى المزرعة التى نمتلكها .
سألها قائلاً :

- وهل توجد مزارع هنا ؟

- نعم .. توجد عدة مزارع متفرقة إحداها يمتلكها
أبى .

سألها قائلاً :

- هل أنت من الوادى الجديد ؟

أجابته قائلة :

- كلا .. إننى من القاهرة .

قال لها بدهشة :

- من القاهرة !! وما الذى أتى بك إلى هذا المكان ؟

هل أنت فى زيارة مثلاً لأبيك ؟

- لقد قلت لك إننى أعيش معه فى المزرعة .

عاد ليسألها قائلاً :

- ومنذ متى وأنت تعيشين فى هذا المكان ؟

أجابته قائلة :

- منذ عشر سنوات .

قال لها بتعجب :

- عشر سنوات .. عشر سنوات وأنت تعيشين هنا ..

هل سافرت خلالها إلى القاهرة ؟

***** ٢٤ *****

قالت له وهى تتكلم بجوار شجرة النخيل :
- كلا .

سألها قائلاً :

- ما اسمك ؟

أجابته فى براءة :

- (سلوى) .

مد لها يده مصافحاً وهو يقول :

- أعرفك بنفسى .. أنا اسمى (عماد) .

مهندس كيميائى وأعمل فى مجال التنقيب عن

البتروول .

نظرت إلى يده مترددة وقد اعتراها شىء من

الخوف .. ثم ما لبثت أن مدت له يداً مرتعشة لتصافحة

بها .

نظر إليها وهو يبتسم للمرة الأولى قائلاً :

- هل أنت خائفة منى ؟

هزت رأسها نفيًا .

فقال لها :

- إذن لماذا ترتجفين هكذا ؟ هيا اجلسى ودعينا

نتحدث .

***** ٢٥ *****

ظلت منكمشة في مكانها ، وعلى وجهها أمارات التردد .

فقال لها مشجعاً ، وهو ينظر إلى مكان النبع ، وكان الرعاة قد فارقوه :

- أترغبين في أن نجلس قليلاً بجوار النبع ؟ أعتقد أن الجلوس هناك سيكون أفضل .

لم تجبه .. فعاد ليقول لها وهو يتقدمها :
- هل تمانعين ؟

استجابت لدعوته ببطء مترددة .

ثم سرعان ما وجدت نفسها تسير بجواره ، وهي ترقبه بنظرات مختلصة .

كان الأمر يبدو بالنسبة لها أشبه بالحلم .

فها هو ذا الرجل الذي ظل يشغل تفكيرها خلال الأيام الماضية .. والذي كانت تسعد برؤيته من بعيد .. الرجل الذي احتل مساحة كبيرة من خيالها وأحلامها .
ها هو ذا يسير بجوارها ويحدثها ، ويطلب منها مجالسته .

توقف أمام بقعة خضراء بجوار النبع .. قائلاً :

- هذا هو مكاني المفضل .. لا بد أنك قد عرفت ذلك من خلال مراقبتك لي خلال الأيام الماضية .

قالت له محتجة :

- قلت لك إنني لم أكن أراقبك .

ابتسم قائلاً :

- أظن أنك كاذبة .

قالت له متلئمة :

- كيف .. كيف تنعتني بذلك ؟

- لأن هذه هي الحقيقة .. هيا .. لماذا لا تجلسين ؟

قالت له وهي تحاول إخفاء ارتباكها بالتظاهر

بالغضب :

- لا أرغب في الجلوس .

ابتسم قائلاً :

- لا بأس إذن .. من أن نبقي واقفين .

تأملها برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- لا بد أنك لم تنالي حظك من التعليم .. ما دمت قد

عشت كل هذه السنين دون أن تفارقي ذلك المكان .

قالت له بصوت خافت :

- لقد حصلت على الشهادة الابتدائية من القاهرة ..

ثم أكمل أبي تعليمي بنفسه .. فكان يحضر لي الكتب

لنستذكرها معاً .

قال لها وفي عينيه نظرة تعاطف حقيقية :

- لم يكن هذا ليغنى عن أن تنالى حظك من التعليم
الرسمى .. كان من الممكن أن تكونى فى الجامعة
الآن .

قالت له وقد أحست بأنه يستصغر شأنها :

- إن أبى يحتفظ بمكتبة كبيرة فى منزلنا بالمزرعة ..
وقد قرأت كل الكتب الموجودة فيها تقريباً ، حتى
أصبح لدى قدر من الثقافة يفوق مثيلتى ممن حصلن
على شهادات جامعية .

سألها قائلاً :

- لماذا اختار أبوك هذا المكان لتعيشا فيه ؟

قالت له بصوت ينطوى على رنة من الحزن :

- لقد أثر أبى العزلة والابتعاد عن الناس .

- إذا كان هذا هو اختياره .. فلماذا فرضه عليك ؟

- لأننى ابنته .. وينبغى أن أكون معه حيث يكون .

- ووالدتك ؟

- لقد ماتت .

- أليس لكما أى أقارب بعيدين عن هنا ؟

- كلا .. لماذا تسأل هذه الأسئلة ؟

- لأنك تشيرين فضولى .

جلست على الأرض العشبية المجاورة للنبع قائلة :

- حسن .. إذا كنت تريد أن تجلس فلنجلس ، لأننى

تعبت من الاستمرار فى الوقوف هكذا .

ابتسم وهو يجلس بجوارها قائلاً :

- آخر ما كنت أتوقعه ، هو أن ألتقى بفتاة مثلك

هنا .

سألته قائلة :

- لماذا ؟ هل أبدو مختلفة عن الآخرين هنا ؟

- إن هؤلاء الآخرين الذين نتحدثين عنهم ، يعدون

على أصابع اليد الواحدة .. ثم إنك تبدين مختلفة

بالفعل .

- هل أستطيع أن أسألك بدورى عن سبب مجيئك

إلى هذا المكان ؟

صمت برهة قبل أن يقول :

- أظن أن هذه الواحة هى أجمل بقعة فى هذا

المكان .. لذا فمن الطبيعى أن يحب المرء المجيء

إليها .

نظرت إليه قائلة :

- لا أظن أن هذا هو السبب الحقيقي .

التفت إليها بدهشة قائلاً :

- لماذا تقولين ذلك ؟

- لأن تلك النظرة الحزينة الشاردة ، التي كنت

أراها في عينيك وأنت جالس بجوار النبع ، تنطوى

على ما هو أكثر من ذلك .

قال لها بصوت يغلب عليه الحزن :

- هأنت ذى قد اعترفت بأنك كنت تراقبينى فى أثناء

جلوسى هنا .

قالت له وهى تخفض بصرها خجلاً :

- نعم .. لقد فعلت ذلك .. أظن أنه لا بد لى أن

أعترف .

قال لها محاولاً التخفيف من إحساسها بالحرج :

- ولماذا أنت خجلة هكذا ؟

- لأننى أظن أن هذا لم يكن تصرفاً لائقاً من جانبى .

- من الطبيعى أن رؤيتك لى قد أثارت فضولك .

- هل تنوى البقاء هنا لفترة طويلة ؟

- كلا .. إتنى سأعود إلى القاهرة خلال الأسبوع

القادم .

فقد جئت فى مهمة عمل قصيرة .. أما عملى

الأساسى فهو فى القاهرة .

قالت له وقد اعترأها الحزن :

- إذن فلن تأتى إلى هذا النبع بعد ذلك .

قال لها وقد لاحظ ملامح الحزن المرتسمة على وجهها :

- هل يهملك أن آتى ؟

قالت له بتلقائية :

- نعم .

سألها قائلاً :

- لماذا ؟

هزت كتفها قائلة :

- لا أدرى .

- ربما لأننى الرجل الوحيد الذى التقيت به فى هذا

المكان غير أبىك .

- كلا .. لقد رأيت الكثيرين من الرجال الذين تصادف

مرورهم بهذه المنطقة بالطبع .. فأنا لا أحيا فى جزيرة

معزولة .. كما أتنى ذهبت إلى مدينة الوادى الجديد

عدة مرات ، وصادفت أشخاصاً آخرين .. لكنك تبدو

مختلفاً .

- كيف ؟

- لا أدري .. هذا هو ما أحسه .. أنت تبدو مختلفاً
على الأقل بالنسبة لى .
تأملها قائلاً :

- أنت أيضاً تبدين بالنسبة لى كذلك .. إنك تذكريننى
بالبراءة .

البراءة التى أصبحت مفقودة فى حياتنا .

ربما كان وجودك فى هذا المكان الجاف البعيد عن
حياة اجتماعية حقيقية ، فيه شىء من الإجحاف
بالنسبة لك .. لكنى أظن أنه قد أبعدك عن الكثير من
عيوب وشرور البشر .

تطلعت إليه فى تساؤل قائلة :

- وكيف أمكنك أن تحكم على بذلك .. ونحن لم

نلتق إلا منذ عدة دقائق ؟

- أظننى لا أحتاج لأكثر من هذه الدقائق القليلة ،

لكى أكتشف هذه الحقيقة .

قالت له وهى تحاول أن تتجاسر بمواجهة نظرات

عينيه اللتين تحدقان بها :

- أنا أيضاً لم أحتج لوقت طويل ، لكى أقرر أنك

***** ٣٢ *****

تعانى أزمة ما ، ولكى أرى ذلك الحزن الدفين فى
عينيك ، برغم الابتسامة التى تحاول أن ترسمها على
وجهك .

ازدادت دهشته وهو يتأملها .. وقد بدا وكأنه
يكتشف المزيد فى هذه الفتاة الجالسة أمامه مع مرور
الوقت قائلاً :

- كيف استطعت أن تقررى ذلك ؟

- تماماً .. كما استطعت أنت أن تحكم على بالبراءة ..

أظن أننا متشابهان .

فوجئى بتلقائيتها .. فظل يحدق فيها لبرهة .. ثم
غادر مكانه وأولاهها ظهره ، وهو يستند إلى جذع
نخلة قائلاً :

- كلا .. لا أظن أن هذا صحيح .

نهضت بدورها لتقف بجواره قائلة :

- ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

التفت إليها قائلاً :

- لأنك بفطرتك السليمة ، تستطيعين الحكم على

الأدوار حكماً صحيحاً ، وغالباً ما يكون صادقاً .. أما

أنا فبرغم علمى .. وتجاربى ، لم أستطع أن أحكم على

***** ٣٣ *****
[م ٣ - زهور (٧٢) بع الحب]

فتاة عرفتها حكماً صحيحاً .. وتركت غشاوة الحب
تعميني عن أن أراها في صورتها الحقيقية .
قالت له بتعاطف :

- ألا يقولون إن الحب أعمى ؟ إذن فهذا هو سبب
وجودك هنا .. إنك تحاول الهرب .. الهرب من قصة
حب فاشلة .

نظر إليها بتمعن قائلاً :

- من أين لك معرفة هذه الأمور ؟ لا أظن أن فتاة
مثلك قد مرت بتجربة حب ، أو عاشت مثل هذه
المشاعر في مكان كهذا .

ابتسمت في مودة قائلة :

- لست بحاجة لأن أمر بتجربة حب ، أو أن أعيش
هذه المشاعر ، لكي يمكنني تعرف رجل يعاني قصة
حب فاشلة .

سألها قائلاً :

- كيف ؟

احتفظت بابتسامتها الودود قائلة :

- إنها الفطرة يا باشمهندس .. هل نسيت ما قلته
عنى الآن ؟

***** ٣٤ *****

عادت لتجلس فوق أحد الأحجار الضخمة في
مواجهته ، وهي تستطرد قائلة :

- حدثني عنها .

- عن من ؟

- تلك الفتاة التي أتت بك إلى هذا المكان .

قال لها وقد عادت ملامح الحزن لتكسو وجهه :

- أفضل ألا أتحدث عنها .

هزت كتفها قائلة :

- كما تريد .. لكنني أظن أن الإنسان بحاجة لشخص

يحادثه عن همومه وأحزانه .. كما أظن أنك لم

تتحدث لأحد من زملائك في الموقع الذي تعمل به ،

عن السر الذي تطويه بين جواتحك .. وإلا ما كنت قد

جئت بمفردك إلى هنا ، لتجلس الساعات الطوال أمام

النبع ، تجتر أحزائك ، وتسترجع ذكرياتك الأليمة .

قال لها بضيق :

- هل تعرفين ؟ لقد بدأت تغضبيني .. لقد حان

موعد عودتي إلى موقع العمل .. وأظن أنه يتعين

عليك أن تعودى أنت أيضاً إلى منزلك .

قالت له معذرة وقد اعترأها شيء من الاضطراب :

***** ٣٥ *****

- أرجوك لا تغضب مني .. فما قصدت إلا أن أخفف
من أحزاتك قليلاً .
ابتسم قائلاً :

- حسن .. إنني لست غاضباً منك .

- إذن .. هل تبقى قليلاً ؟

- يتعين علي أن أعود إلى عملي الآن .

- هل ستأتي إلى النبع غداً ؟

- ربما .

- ما دمت لن ترحل غداً .. فلا يوجد ما يحول دون

مجيئك .

نظر إليها قائلاً :

- وأنت .. هل ستأتين ؟

قالت له سريعاً :

- نـ .. نعم .

- إذن .. فسوف آتي .

واستطرد قائلاً :

- وربما أخبرتك عن الفتاة التي جاءت بي إلى هنا .

★ ★ ★

٣ - الحزن النبيل ..

انصرفت وقلبها يرقص بين ضلوعها طرباً .. وأخذت
تقفز في الهواء كطفلة صغيرة تلهو وتمرح .. إذ
أحست بأن الحياة تُظهر لها وجهًا مختلفًا لأول مرة ،
منذ أن جاءت إلى هذا المكان .

وأن الأثر الذي تركته في نفسها رؤيتها لهذا
الشخص أول مرة .. لم يكن مجرد شعور عابر .. بل
إن القدر خطط ودبر لهذا اللقاء ؛ ليعوضها عن
حرمان السنين الماضية .

فإحساسها الأول نحوه .. نما وتزايد حينما التقت
به وتحدثت إليه ، وتملكها شعور غامض بأن كلاً
منهما ينتمي إلى الآخر .

نعم .. إن إحساسها يتزايد بأن هذا الشخص ، هو
فارس أحلامها الذي طالما تمنته ورأته في أحلام
يقظتها .. وخيالاتها .

وما أسعد المرء حينما يرى حلمًا جميلًا يتحقق في

واقعه .. وخيالاً عاش به سنوات طويلة يتحول إلى حقيقة .

لكن سرعان ما انقبضت أسارير وجهها ، عندما تذكرت ما قاله لها عن رحيله القريب .

إن هذا يعنى أن حلمها سيتبدد فى وقت قصير .. وأن الحرمان الذى عاشته وتقبلته ، سيتحول بعد فترة وجيزة إلى واقع كئيب وحرمان أكبر ..

ماذا ستفعل بدونه إذا رحل ؟

توقفت وقد غمرها إحساس بالخوف من المستقبل . وأخذت تتساءل فى حيرة عن السر المختفى وراء هذا النوع من المشاعر الإنسانية ؟

لقد التقت بإنسان منذ دقائق .. لكنها أحست بأنه يملأ عليها عالمها كله .. وأن هذه الدقائق القليلة توازى عمراً عاشته .

وها هى ذى تخشى على سنوات عمرها القادمة أن تحياها بدونه .

فما معنى هذه المشاعر والأحاسيس ؟ وأى ساحر هذا الذى استولى على كيانها ، وفجر كل هذه المشاعر والأحاسيس التى لم تحسها من قبل ؟ أليكون هذا هو الحب الذى قرأت عنه فى الروايات ؟

إن روايات الحب العصرية تنكر الأحاسيس من النظرة الأولى ، لكن ما معنى هذه الأحاسيس التى تحسها إذن ؟ وهل هذا هو الحب أم أنه شىء آخر ؟ تنبعت على صوت أبيها وهو يناديها .. قائلاً :

- (سلوى) .. لماذا تأخرت هكذا ؟

أجابته بارتباك ، وقد اعتراها إحساس فتاة تحاول أن تخفى سرها على أبيها لأول مرة فى حياتها :

- كان الجو صافياً ، ونسمات الهواء علية لدى النبع .. فأثرت البقاء لبعض الوقت .

سألها باستغراب قائلاً :

- ما سر تعلقك بالذهاب إلى النبع هذه الأيام ؟

قالت له وقد ازداد ارتباكها :

- لاشىء .. إننى فقط أرتاح للجلوس بين أشجار النخيل المجاورة للنبع .. خاصة فى هذه الأيام الحارة .

- لم أكن أراك ترحبين بالذهاب إلى هناك بصورة متكررة هكذا مثل هذه الأيام .

قالت له بحزن :

- وهل وجدت مكاناً آخر أذهب إليه لأسرى عن نفسى عدا هذا المكان ؟

حركت كلمات الفتاة شجون الأب ، وأعدت إليه
إحساسه بالذنب ، لما يفرضه على ابنته من حرمان ..
بوجودها معه في هذا المكان ، فقال لها وفي صوته
ما ينم عن إحساسه بذنبه نحوها :

- يا بنيتي إن المنطقة هنا حولنا بعيدة عن العمران ..
وأنا أخاف عليك من ..
قالت له بنبرة هادئة :

- لا تخش علي من شيء يا أبى .. لقد ألفت المكان
هنا .. وكل الأشخاص القلائل الذين يمرون هنا ،
يعرفوننى ويعرفونك ولن يمسنى أحدهم بسوء .
لكن لماذا غادرت المزرعة ؟

- لقد قلقت عليك بسبب تأخرك كل هذا الوقت ..
فجلت لأبحث عنك .

- إذن هيا بنا نعود لمواصلة العمل .
قال الأب وهو يحيط كتف ابنته بذراعه محاولاً
التسرية عنها :

- كلا .. لا مزيد من العمل اليوم .. سأخذك ونذهب
معا إلى المدينة ، ونقضى بعض الوقت في النادي
هناك .

***** ٤ *****

قالت له ابنته ، وهى تقدر محاولته التخفيف من
إحساسها بالوحدة والملل :

- كلا يا أبى .. لا داعى لذلك .. فأنا أفضل العودة
إلى المنزل .

- لا بأس ما دامت هذه هى رغبتك .. على أية
حال ، لقد أعددت لك طعاماً رائعاً .. دعينا نلتهمه
معا .. ثم نخلد إلى الراحة بقية اليوم .

كانت الفتاة بحاجة لأن تخلو إلى نفسها ، حتى
تعيش هذه الأحاسيس الجميلة التى تمتعت بها منذ
قليل ، وهى بصحبة (عماد) .

لقد خلف لها هذا اللقاء عالماً سحرياً تؤثر أن
تستمتع بكل لحظة فيه .

نعم .. إن الأوقات السعيدة قليلة فى حياتها .. لذا
عليها أن تنعم بهذه السعادة .

فلتنس مخاوفها بشأن رحيله .. ولتنس ما يمكن
أن يطرأ على حياتها إذا ما فارقها بعد أن عرفتة .
ولتنس حتى تلك الفتاة التى استولت على قلبه ،
وشغلت تفكيره ، على نحو يجعل فرصتها ضئيلة فى
أن تحوز قدراً من مشاعره واهتمامه .

***** ٤١ *****

فلتنس كل شيء .. ولتفكر فقط في تلك اللحظات
السعيدة التي التقت خلالها به ، وتستعيد حديثه معها ،
ونظراته إليها .. ووجوده بجوارها ، وتلك المشاعر
الغامضة التي احتوتها وهي معه .

★ ★ ★

كان جالساً في مكانه المعتاد بجوار النبع .. وعاد
قلبها ليخفق بشدة حينما رآته .
وكان مجيئها إلى هذا المكان مختلفاً عن المرات
السابقة .

فلم يعد هو ذلك الرجل الذي كانت ترقبه خلسة ،
من فوق الربوة المطلة على النبع .
إنه هذه المرة .. الرجل الذي تحدثت إليه ، وحرك
لديها أحاسيس لم تعرفها من قبل .

لقد جاءت إلى النبع كما لو كان هذا هو مواعدها
الغرامية الأولى .. أو هكذا أرادت أن توهم نفسها ،
وهي تغادر منزلها في طريقها للقاءه .

ابتسم حين رآها .. ونهض مرحباً وهو يصافحها
قائلاً :

- ظننت أنك لن تأتي .

ابتسمت قائلة :

- لقد وعدتك .

دعاه للجلوس قائلاً :

- في الحقيقة .. لقد كنت أستمتع بهدوء المكان
وسكينته ، كما كنت أستريح لانعزاليتي هنا ، بعيداً
عن رفقة زملاء العمل ، لكن بعد أن ظهرت أنت في
هذا المكان .. وتحدثنا معاً .. أصبح هذا ثقيلاً على
نفسي .. ووجدتني أتوق إلى رؤيتك .

- كنت أخشى أن أكون قد افتحمت عليك عزلتك .

ابتسم قائلاً :

- لا تنسى أنني أنا الذي فاجأتك وأنت رابضة فوق
هذه الربوة .

قالت له بصوت خافت :

- لقد أخفتني .

- آسف .. إذا كنت قد فعلت ذلك .

رأت بينهما لحظة من الصمت قبل أن يسألها قائلاً :

- هل واجهت صعوبات في العودة إلى منزلك ؟

- كلا .. لقد التقيت بأبي في الطريق .

- وهل أخبرته عن لقائنا ؟

- كلا .

- لماذا ؟

خفضت بصرها وهي تضغط على أصابعها ، دون أن تقدم له جواباً .

فعاد ليسألها قائلاً :

- لا بد أنك خشيت أن يعنفك لجلوسك مع رجل غريب

في هذا المكان المنعزل .

قالت له سريعاً :

- أبي لم يعنفني قط ..

- لكن في مثل هذه الحالة ، لا بد أنه كان سيفعل

ذلك .. لو كنت مكانه لتصرفت على هذا النحو .

- لكن أبي يثق بي .

- إن ثقته بك لا تعنى أن تمتد ثقته للآخرين ، فكل

أب يخاف على أبنائه .. خاصة في منطقة نائية كهذه .

نظرت إليه قائلة :

- لكنني لا أخاف منك .

بادلها نظراتها قائلاً :

- أتصحك ألا تمنحني ثقتك للآخرين بمثل هذه

السهولة .

- أيمكنني أن أدعوك باسمك مجرداً من الألقاب ؟

- بالطبع .. يمكنك ذلك .

قالت له وفي عينيها فضول شديد :

- (عماد) .. ما هو السر الذي يختفى وراء عينيك

الحزينتين ؟

نظر إليها قائلاً :

- يا لك من فتاة فضولية !

أطلق زفرة قصيرة .. وهو يتناول حجراً صغيراً ..

ليلقى به في مياه النبع ، قائلاً :

- لقد أحببت فتاة عرفتني حياً جماً .. وكنا على

وشك أن نرتبط معاً .. ظننت أنها تبادلتني الحب ..

ولم أتصور حياتي بدونها .

لكن تطلعاتها المادية ، كانت أقوى من أي ارتباط ،

وأكبر من أي عاطفة ، لذا ألقيت بارتباطنا وراء

ظهرها ، لدى أول عرض قدم لها من شخص ثرى ،

قادر على تحقيق أحلامها المادية .

وفضلت الفيلا والسيارة ذات الطراز الحديث والملابس

الباهظة الثمن ، على أحلام الحب الوردية التي آمنت

بها بسذاجة .

***** ٤٥ *****

***** ٤٤ *****

واستطرد قائلاً في سخرية تنطوى على قدر من المرارة :

- وهكذا كانت النهاية .. وهكذا طلبت أن آتى إلى هذا المكان طلباً للابتعاد عن أى شيء يذكرنى بها ، محاولاً التغلب على صدمة حبي الفاشل .

صمت برهة وهو يحدق في مياه النبع .. ثم نظر إليها قائلاً ، ومازالت نبرة السخرية المريرة واضحة في صوته :

- قصة متكررة .. لا بد أنك قد قرأت عنها كثيراً ، في تلك الروايات التى تحتفظون بها فى منزلكم .. أليس كذلك ؟

أنا أيضاً قرأت مثل هذه الروايات ، ولم أستسغ كثيراً تلك المواقف الدرامية التى وردت بها . لكن من سخرية القدر ، أتنى أعيش الآن أحد هذه المواقف .

سألته قائلة وهى تشعر نحوه بتعاطف حقيقى :

- وهل نجحت المحاولة ؟ أعنى محاولتك التغلب

على مشاعرك تجاه هذه الفتاة ؟

عاد ليحدق في مياه النبع ، دون أن يجيبها ..

***** ٤٦ *****

فقامت من جواره ، وابتعدت عنه خطوتين ، وهى تحديق في مياه النبع بدورها قائلة :

- أظن أنه لم يكن هناك داع لكى أسألك هذا السؤال ، فما دمت مستمراً فى المجيء إلى هذا المكان .. ومادامت تلك النظرة الحزينة مازالت ساكنة فى عينيك .. فأنت لم تنسها بعد . نهض بدوره قائلاً :

- لقد عاهدت نفسى على نسيانها .. وسوف أفعل ذلك .. مع مرور الزمن سأنجح فى أن ألقها من حياتى تماماً .

- لن يتحقق ذلك بالهرب إلى مكان منعزل كهذا .. والاستسلام لذكريات حبك لها وخيانتها لك .. لا بد أن تمارس حياتك بشكل طبيعى ، وأن تساعد نفسك على النسيان ، لكى تنجح فى ذلك .. فالوحدة لا تجلب سوى الشقاء .

قالت جملتها الأخيرة بحماس حقيقى .

تأملها قائلاً :

- إنك تتحدثين بما يفوق عمرك .. وبقدر من الحكمة

لم يحظ به الكثيرون ممن عاشوا تجارب عديدة ..

وتمرسوا فى الحياة .

***** ٤٧ *****

قالت له وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها ، مستندة
بظهرها إلى إحدى أشجار النخيل :

- لقد تعلمت الحكمة من الحياة هنا .. ثم من أخبرك
أنني لم أعش تجربة مماثلة ؟
سألها :

- هل حدث هذا بالفعل ؟

قالت له سريعاً :

- لا تشغل بالك بما أقول .

ثم استطردت قائلة :

- هل تعرف .. أظن أن هذه الفتاة لم تكن تستحقك
بأية حال من الأحوال ؟ وأنه يتعين عليك أن تشكر
القدر الذي أبعدها عن حياتك .

- أحياناً أقول لنفسى ذلك .. لكن مرارة هجرها لى
مازالت هى الأقوى فى نفسى .

قالت وهى تنظر إليه بتعاطف حقيقى :

- إننى أقدر مشاعرك .. لكن صدقتى ، من الأفضل
لك أن تلفظها من حياتك كما قلت .. فهذه الفتاة
لا تستحق حزنك النبيل .

تأمل وجهها الهادئ قائلاً :

- هل تعرفين ؟ لقد كنت محقة حينما طلبت منى أن
أبوح لشخص ما بما فى نفسى ، فقد ارتحت كثيراً
بالحديث إليك .

ابتسمت (سلوى) قائلة :

- إن هذا يدخل السرور على نفسى .

نظرت إلى ساعتها قائلة :

- لقد تأخرت ، يتعين على أن أذهب الآن حتى

لا يقلق أبى على .

سألها قائلاً قبل أن تفارقه :

- هل سأراك غداً ؟

أومأت له برأسها .. ثم ابتعدت ، وقد تأكدت أن

مشاعرها تزداد تعلقاً به يوماً بعد آخر .

★ ★ ★



٤ - اغفر لى ..

توالت اللقاءات بينهما .. ولاحظ الأب ما طرأ على ابنته من تغيير ، منذ أن التقت بـ (عماد) .. فبدأت علامات التساؤل والحيرة تبدو واضحة على وجهه .. كان سعيداً على أية حال وهو يرى إشراقاً وجهها .. وتلك الحيوية والنضارة اللتين طرأتا عليها ، لكنه لم يكن مرتاحاً لذهابها اليومي المتكرر إلى النبع . وذات يوم وجدها تتأهب كعادتها للذهاب إلى النبع ، فى الموعد الذى اعتادته .. فسألها قائلاً بنبرة جادة :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟

أجابته قائلة :

- إلى النبع .

قال لها :

- ألا ترين أن مسألة ذهابك إلى النبع هذه قد تكررت

بصورة أكثر من اللازم ؟

قالت له بصوت خافت :

***** ٥٠ *****

- أنت تعرف أننى أرتاح للذهاب إلى هذا المكان .

- لا تنسى أن لدينا عملاً هنا فى المزرعة .

- إننى لن أغيب أكثر من ساعة واحدة .

قال لها الأب وهو يعقد ذراعيه خلف ظهره :

- (سلوى) .. من هو هذا الشخص الذى تلتقين

به كل يوم لدى النبع ؟

فوجئت (سلوى) بأنه يعرف سرها .. فتلعثمت

قائلة :

- شخص .. أى .. شخص .. إننى ..

- هل ظننت أنك تستطيعين إخفاء ذلك طويلاً ؟

إن المكان هنا غير مزدحم ، بحيث يمكنك إخفاء

أسرارك ولقاءاتك المستترة عن العيون .

- إننى لم أرتكب أى خطأ يمكن أن يسبب إلى أو

إليك .

- إذن بماذا تبررين خداعك لأبيك ، ولقاءك مع هذا

الشباب دون علمه ؟

- لم يكن بيننا سوى مجرد حوارات .. وكنت أنتظر

الوقت المناسب لأطلعك على ذلك .

قال لها بسخرية تمتزج بالغضب :

***** ٥١ *****

- الوقت المناسب .. وما هو الوقت المناسب في رأيك ، لكي تخبري أباك بما يدور من خلف ظهره ؟
قالت له وقد ألمها أن يتحدث عنها على هذا النحو :
- لقد خشيت أن تمنعني من الالتقاء به لو علمت بالأمر .

قال لها محتدًا :

- وإلى متى كنت تظنين أنك تستطيعين إخفاء هذا الأمر عني ؟

إن لي عينين تريان .. ولم أغفل مطلقًا عما طرأ عليك من تغيير منذ أن تكررت مرات ذهابك إلى النبع .

لقد تتبعتك ورأيتك وأنت تلتقين بهذا الشاب .. ولولا احترامي وإعزازي لك ، لفاجأتك بظهوري ، ولكان لي معك شأن آخر .

وصمت برهة ليسيطر على انفعاله ، قبل أن يسألها قائلاً :

- منذ متى وأنتما تلتقيان ؟

أجابته وهي خافضة الرأس :

- منذ خمسة أيام .

***** ٥٢ *****

- وما هي الظروف التي جمعت بينكما ؟

- لقد وجدته جالسًا بجوار النبع وحدث اللقاء بيننا مصادفة .

سألها قائلاً :

- وما الذي أتى به إلى هذا المكان ؟

- إنه مهندس بترول يعمل في موقع قريب من هنا . فاجأها بسؤاله قائلاً :

- هل تحبينه ؟

ارتبكت ولم تستطع أن تقدم له جوابًا .

اقترب منها ليمسك بذراعيها ، وهو يقول لها بصوت خافت :

- عليك أن تعرفي أنك تعنين بالنسبة لي الكثير ..

فأنت بالنسبة لي لست مجرد ابنة فقط .

أنت تعنين بالنسبة لي عالمي كله .. لقد استغنيت

بك عن الدنيا وما فيها .. ورضيت بالحياة معك في

هذا المكان المنعزل ، لأبعدك عن شرور البشر ،

وأنشك على أفضل صورة تمنيتها ، وعلى كل القيم

والمعاني النبيلة التي أومن بها .. ويجدها الآخرون .

تطلعت إليه وفي عينيها نظرة عتاب قاسية .. وقد

***** ٥٣ *****

وجدت في نفسها الجرأة لأول مرة على مواجهته قائلة :
- كلا يا أبى .. لا تغالط نفسك .. لقد جئت إلى هنا
هرباً من الماضي ، وأملاً في النسيان .

نسيان أمى .. المرأة التي أحببتها وهجرتك ..
وأخلصت لها وباعتك .

جئت إلى هذا المكان النائي أملاً في أن تطيب
جروح قلبك ، وأن تتخلص من تجربة حب فاشل ..
وسنوات السجن التعيسة ، وأحلامك التي تسربت من
بين يديك .

هذه هي الحقيقة .. وهذا هو السبب الذي أتى بك
إلى هذا المكان .

تهالك الأب فوق أحد المقاعد ، وقد ارتسمت على
وجهه ملامح التأثر قائلاً :
- كفى .

لكنها استطرقت قائلة :

- كلا يا أبى .. لا بد أن أكمل .. إننى أقدر المعاناة
التي عشتها .. وأحترم أحزانتك .. كما أعرف مقدار
حبك وتعلقك بى .. وهذا هو ما جعلنى أستمر في
البقاء معك هنا .

***** ٥٤ *****

لكن لا بد أنك تقدر أن هذا قد حدث على حساب
أشياء كثيرة حرمت منها .

وإنى أشاركك الاقتناع بسوء اختيارك للإنسانة التي
أحببتها وتزوجتها بلا ذنب اقترفته ، فما ذنبى في كل
ما جرى بينك وبين أمى ؟

ما ذنبى لكى أحرم من حقى في مواصلة تعليمى ،
والحصول على شهادة جامعية ، وحقى في صداقة
فتيات في مثل سننى .. حقى في اللهو والمرح ..
وارتياد المحلات والشوارع .. وممارسة حياة اجتماعية
طبيعية ؟

لقد كان ثمننا قاسياً يا أبى ، فرضت على أن أدفعه
معك بلا ذنب منى ، حتى إننى لا أدري .. هل جئت
بى إلى هنا لأنك تحببى حقاً أم لأنك أردت أن تنتقم من
أمى في شخصى ؟

تقلصت ملامحه وهو يقول لها بصوت واهن :
- (سلوى) .. ماذا تقولين ؟ أنا أنتقم منك يا بنيتى ؟
أنا أنتقم منك وأنت بسمة الأمل الوحيدة في
حياتى !!

انتقم من نفسى ؟ من اللمسة الحانية في دنيائى ؟

***** ٥٥ *****

جلست إلى جواره .. وقد تحركت عاطفتها نحوه
قائلة :

- آسفة يا أبى .. لم أقصد أن أؤذى مشاعرك ..
لقد أردت فقط أن أعبر عما يجيش بصدري .
قال لها الأب بصوت يعبر عن إحساسة بالندم :
- بل معك حق يا بنيتى .. لقد ظلمتك باستبقائك
معى هنا .

قالت له (سلوى) وهى تتناول يديه بين يديها فى
حنان :

- بل ظلمت نفسك منذ البداية ، حينما ظننت أن
الوحدة والعزلة والتخلى عن كل مظاهر الحياة
الاجتماعية ، هو الحل الأمثل للتخلص من آثار
الماضى .

لماذا لا تبيع المزرعة .. ونرحل عن هذا المكان ،
لنبداً حياتنا فى مكان آخر ؟

إلى أية مدينة من المدن الكبيرة .. القاهرة ..
الإسكندرية .. الإسماعيلية .

نختلط بأناس جدد ، ونمارس عملاً آخر ، ونشارك
فى مجالات اجتماعية مختلفة .

بل لماذا لا تفكر فى الزواج من امرأة فاضلة ؟
نظر إليها بدهشة قائلاً :

- الزواج !؟

أجابته قائلة :

- نعم .. من حقا أن تفكر فى الزواج يا أبى .

- بعد هذا العمر الذى وصلت إليه ؟ وبعد التجربة
التي مررت بها مع أمك ؟ مستحيل .

- لماذا ؟ إنك لست طاعناً فى السن .. ولا يوجد
ما يحول بينك وبين أن تعيش بقية حياتك مع إنسانة
فاضلة .. تناسبك .

أما عن تجربتك السابقة ، فلا يمكن أن تبقى
مسيطرة على بقية حياتك .

قال لها بأسى :

- لم يعد فى العمر بقية يا بنيتى .

قالت له بجزع :

- لا تقل ذلك يا أبى .

ابتسم محاولاً التخفيف من ملامح التأثر التى بدت
على وجهها ، وقد ربت بيده على وجنتها قائلاً :

- لقد كبرت سريعاً يا بنيتى .

سألته قائلة :

- هل تعدنى بأنك ستفكر فيما اقترحتك عليك ؟

قال لها مداعباً :

- قولى .. إنك تريدان التخلص منى .. من عبء

ذلك الرجل العجوز ، الذى اضطررت لأن تشاركه
حياته .

قالت له سريعاً وكأنها تنفى عن نفسها إتهاماً :

- أنا يا أبى .. إننى لن أتخلى عنك أبداً .. سواء

بقينا هنا أم رحلنا عن هذا المكان .. فأنت تعرف
مقدار حبى لك .

قال لها مبتسماً :

- دعك منى .. وقولى لى .. ماذا عن ذلك المهندس

الذى تقابلينه ؟

وأرجو أن تخبرينى بالحقيقة كاملة دون خجل ..

ماذا عن مشاعرك نحوه ومشاعره نحوك ؟

- إنه إنسان رقيق وحساس للغاية .

حينما رأيته أول مرة ، وجدته جالساً بجوار النبع ،

وسحابة من الحزن تظل عينيه .

كان هذا الحزن المثل من عينيه ، هو الذى جذبنى

إليه فى البداية .

***** ٥٨ *****

وحيثما تحدثت معه ، وجدت أن ظروفه متشابهة
تماماً مع التجربة التى مررت أنت بها ، وهذا هو
ما جعلنى أتعاطف معه .

فقد جاء إلى هنا هرباً من ذكرى حب فاشل ،
وامرأة باعت حبه من أجل أحلام الثراء .

أطلق الأب زفرة قصيرة قائلاً :

- إن القصة تتكرر دائماً .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- لكنك لم تقولى لى أهم ما فى الأمر .. ما هى

حقيقة مشاعرك نحوه ؟ هل تحسبن نحوه بالتعاطف

فقط ؟ أم أن مشاعرك تنطوى على ما هو أكثر من

ذلك ؟

أطرقت (سلوى) فى خجل وقد تضرج وجهها

بالاحمرار .

بينما حدجها أبوها بنظرة تتم عن فهمه للحقيقة

قائلاً :

- آه .. إن حمرة الخجل على وجهك لا تحول دون

الكشف عن حبك له .. فهذا أمر واضح .

واستطرد قائلاً بعد برهة أخرى من الصمت :

***** ٥٩ *****

- حسن .. وماذا عن مشاعره هو نحوك ؟

أجابته قائلة بصوت خافت :

- لا أدري .

قال لها الأب وهو يضع يده على كتفها :

- اسمعي يا بنيتي .. إنني لا أريد لمشاعرك أن
تخدعك ، في اختيار الشخص الذي تحبينه ، وتأملين
الارتباط به .

ارتعش بدنها لدى سماعها لهذه الكلمة (الارتباط) ..

إن هذا هو أقصى أحلامها .

أن تكون زوجة لهذا الرجل ، وأن تتجب منه أبناء

يشاركونهما حياتهما .

استطرد الأب قائلاً :

- إن وجودك في هذا المكان ، لم يتح لك مجالاً

واسعاً لممارسة حياة اجتماعية طبيعية كما قلت منذ

قليل ، وأنا أقر بذنبي في هذا الشأن ، وقد تجسم لي

هذا الذنب الآن ، حينما اكتشفت فجأة أنك قد أصبحت

فتاة ناضجة وجميلة وفي سن الزواج .

فلو كنا قد عشنا في مكان آخر ، ربما كان مجال

الاختيار أمامك فسيحاً كما هو عليه الآن ، ولما كان

هناك ما يدعوني للخوف ، من أن يكون تعلقك بهذا

الشخص ، دافعه تلك الحياة المنعزلة التي عشتها ،

والحرمان من العاطفة ، وليس اختياراً قائماً على

أسس سليمة وطبيعية .

قالت له (سلوى) وهي مطرقة الرأس :

- صدقتي يا أبي . إنني أشعر بأن لقاءنا كان قدرياً ..

وأن هذا الشخص سيصبح هو اختياري الوحيد ،

سواء التقيت به في صحراء منعزلة ، أو مدينة تضج

بالزحام .

صمت الأب برهة وهو يفكر فيما قالت ابنته .. ثم

قال لها :

- تری .. أما زال ينتظرك بجوار النبع الآن ؟

نظرت إلى ساعتها ، وقد أبرمت أنها قد تأخرت

كثيراً عن مواعده قائلة :

- لا أدري .

- حسن .. انهبي إلى هناك .. وإذا وجدته ما زال

ينتظرك ادعيه للحضور إلى منزلنا .. وأخبريه بأنني

أريد التحدث معه .

٥ - لا ترحل ..

كان يستعد للعودة حينما وجدها تأتي مهرولة إليه ..
فاستقبلها قائلاً :

- لقد تأخرت كثيراً اليوم ، حتى أنني ظننت أنك لن
تأتي .

قالت له بأنفاس لاهثة :

- آسفة .. لقد حدث ما عطلني .

قال لها بنبرات صوته الرخيم :

- على أية حال .. الحمد لله على أنني قابلتك اليوم ..

فقد خشيت أن أرحل دون أن أودعك .

قالت له وقد تبدلت قسماات وجهها :

- تودعني !؟

قال لها بهدوء :

- نعم .. سأرحل غداً إلى القاهرة .. فقد انتهى

عملي هنا .

تراجعت خطوتين إلى الوراء وهي تحديق فيه ،

وسحابة من الحزن تظلل عينيها .

***** ٦٣ *****

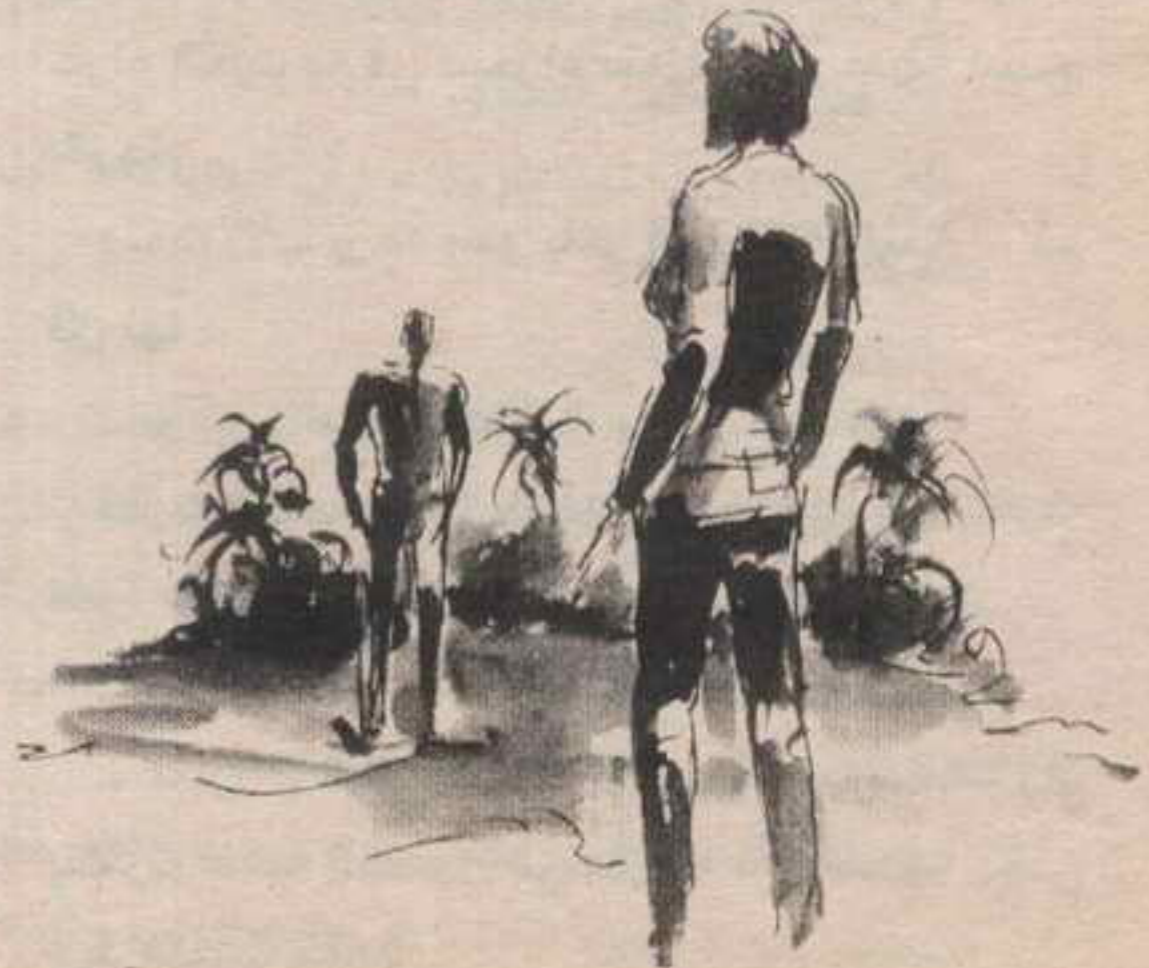
أشرق وجهها ، وتراقصت الفرحة في عينيها وهي
تقول له :

- حقاً يا أبي ؟

قال لها الأب :

- هيا .. لا تضيعي الوقت .. وافعلي ما قلت لك .

★ ★ ★



***** ٦٢ *****

مرّت فترة طويلة من الصمت ، تحاشى خلالها النظر
فى عينيها وقد أحس بأن تصرّحه لها كان قاسياً .
ولكن ماذا يفعل ؟ إنه لن يقضى بقية عمره فى هذا
المكان .. هى نفسها نصحته بذلك .

لقد بدا وجوده هنا مناسباً للظروف النفسية التى
كان يمر بها فى البداية . لذا اختار بإرادته ، أن يكلف
بهذه المأمورية التى أتت به إلى هنا ، وجعلته ينتقى
هذا النبع ، ليفعل فيه أحرانه .

أما الآن .. فقد سئم المكان ، بالإضافة إلى أن
مأموريته قد انتهت حقاً . إنه سيشعر بالأسف لفراق
هذه الفتاة الرقيقة .. خاصة بعد أن توطدت بينهما
أواصر الصداقة المتينة ، خلال الأيام القليلة التى
قضاهما فى هذا المكان .

إنه لن ينسى نظرات عينيها البريئتين .. وذكاءها
الفطرى .. ومشاعرها الرقيقة المنسجمة تماماً مع
هدوء الطبيعة هنا .

إنه يعرف أنها تميل إليه .. فهذا ظاهر تماماً فى
نظراتها إليه وحديثها معه ، برغم أنها لم تبج له
بذلك .

***** ٦٤ *****

كما لا يستطيع أن ينكر أنه هو الآخر يشعر ببعض
الميل نحوها .. ربما على نحو أنساه قليلاً (منى) .
لكن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد ألفة .. وصداقة ..
ولا يمكن أن تتجاوز ذلك .. على الأقل من ناحيته .
اقترب منها قائلاً :

- إننى مرتبط بعملى فى القاهرة .. وأنا أشعر بأننى
سأفتقد كثيراً جلستنا هذه وحديثنا معاً .
قالت له وهى تكاد أن تنتحب :

- (عماد) .. إننى .. إننى ..

أدارت له ظهرها ، لتخفى عبرتين تساقطتا على
وجنتيها قائلة بصوت تخنقه العبرات :

- إننى سأحزن كثيراً لفراقك .. ولا أدرى ماذا سأفعل
بأيامى القادمة بعد أن تغادر هذا المكان ؟

أمسك بذراعها ليديرها إليه وقد ألمه أن يرى تلك
العبرات التى تبلل وجنتيها .

تملكته الحيرة .. وقال لها محاولاً التخفيف عنها :

- سيبقى لنا ذكريات الأيام الجميلة التى التقينا فيها
هنا .

مسحت عبراتها قائلة :

***** ٦٥ *****

- حقاً أن الأيام الجميلة تنقضى سريعاً .. وأنا التي
جئت لكي أدعوك لزيارتنا .

قال لها بدهشة :

- زيارتكم !؟

- نعم .. لقد طلب منى أبي أن أدعوك لزيارتنا .

قال لها محاولاً التخفيف من أجزائها :

- وما المانع ؟ دعينا نذهب إلى منزلكم الآن .

- لا أظن أن وقتك يسمح بذلك .. ربما تريد أن

تحزم حقائبك .

- ما زال أمامي بقية اليوم ونهار الغد .. هيا بنا .

جلست بجواره في سيارته الجيب ، حيث انطلقا في

طريقهما إلى المزرعة .

أحس الأب بآلام شديدة في صدره .. فتناول إحدى

الكبسولات ، ثم تمدد على الفراش ، وقد تصيب

العرق البارد على جبينه وبدأت أنفاسه لاهثة .

إنها الأزمة القلبية التي تعاوده من آن لآخر ،

والتي اكتشفها عن طريق الطبيب المتخصص في

المدينة منذ شهر واحد فقط .. لكنها شديدة الوطء

هذه المرة .

لقد نجح في إخفاء أمرها عن ابنته حتى الآن ..

لكنه يعرف أن ذلك لن يدوم طويلاً .. وأنها لا بد أنها

ستعرف يوماً ما .. وإن كان يخشى أن يأتي ذلك

متأخراً .

خفت حدة الأزمة تدريجياً .. وابتدأت أنفاسه تنتظم

من جديد ، لكن أفكاره وهواجسه حول ابنته لم تنقطع .

قال لنفسه وهو يغمض عينيه بأسى :

- ابنتي المسكينة ! لقد كنت محقة فيما قلته .. وأنا

أعرف أنني حرمتك من أشياء كثيرة .

لكن أن الأوان لتصحيح كل ذلك .

أن الأوان لأعوضك عن كل ما حرمت منه .

أن الأوان لكي أغلق ملف الماضي .. وأطوى

أجزائه بكل ما فيها من شقاء ومرارة .. وأفكر في

مستقبل ابنتي وسعادتها فقط ..

إنه يدعو الله أن يمنحه من القوة والصحة ؛

ما يمكنه من تنفيذ ما استقر عليه رأيه .

نعم سينفذ نصيحة ابنته .. سيبيع المزرعة ..

وسيرحل معها إلى الإسكندرية أو القاهرة لتتعم بحياة

مختلفة .

وإذا كانت تريد الزواج من هذا الشاب الذى التقت
به هنا .. ووجد فيه الشخص الذى يستحقها ، فسيبذل
قصارى جهده من أجل تحقيق رغبتها .

لقد آن الأوان لتصحيح كل الأخطاء التى ارتكبتها فى
حق ابنته .

ولأن تأخذ حقها فى الحياة .. ربما سامحته بعد
ذلك عن سنوات عمرها التى ضاعت فى هذا المكان
الموحش .

وبينما هو مستغرق فى أفكاره سمع صوت السيارة
قادمة .. ورأى من خلال النافذة المجاورة لفراشه
ابنته قادمة ، وبصحبته ذلك الشاب ، فنهض متحاملاً
على نفسه لاستقباله :

قدمته لأبيها قائلة :

- أبى .. أقدم لك المهندس (عماد) .

صافحه الأب مرحباً وهو يقول :

- أهلاً بك يا بنى .. تفضل .

ثم دعاه للجلوس قائلاً :

- أعذرني إذا لم آت لدعوتك لمنزلى بنفسى .. وأنى

قد كلفت ابنتى بذلك نيابة عنى .

- أشكرك على هذه الدعوة الكريمة .

نظر الأب إلى ابنته قائلاً :

- هيا يا (سلوى) أعدى لنا غداء جيداً .

قال (عماد) :

- لا داعى لذلك .

ابتسم الأب قائلاً :

- ألا تريد أن تأكل معنا (عيش وملح) ؟

- إنه ليشربنى أن أفعل ، لكنى مضطر للعودة إلى

موقع العمل .

قال الأب وهو ينظر إلى ابنته :

- على أية حال ، إن الغداء لن يتأخر كثيراً .. أليس

كذلك ؟

إننا سنتناول وجبة سريعة التحضير هذه المرة ..

لكن إذا أردت أن تتذوق الأكلات الدسمة .. فعليك أن

تزورنا مرة أخرى .

قالت له (سلوى) سريعاً :

- لن تكون هناك مرة أخرى يا أبى .. فالمهندس

(عماد) سيرحل إلى القاهرة غداً .

أحس الأب برنة الحزن فى صوت ابنته .

وانتظر حتى انصرافها ليتحدث إليه قائلاً :

- هل ستعود إلى القاهرة غداً .. حقاً ؟

أجابه (عماد) قائلاً :

- نعم .. لقد انتهى عملي هنا ، ولا بد أن أعود

لمقر الشركة .

صمت الأب برهة ، ثم قال له :

هل ترغب في مشاهدة المزرعة ؟

- كما تشاء يا عمي .

- إذن هيا بنا لنجول معاً .. إنها ستعجبك .

وبينما كانا يسيران معاً في أرجاء المزرعة .. قال

له :

- ما رأيك في مزرعتي المتواضعة ؟

- إنها جميلة للغاية وأظن أنها تدر محصولاً طيباً .

- لقد بذلت جهداً جباراً منذ أن جننت إلى هذا المكان ؛

لكي أجعلها هكذا .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- ومع ذلك فإنني أنوى بيعها .

سأله (عماد) قائلاً :

- لماذا ؟

- لأنني قررت مغادرة هذا المكان .. إنه لم يعد
يناسب فتاة شابة مثل (سلوى) .. ألا تتفق معي في
ذلك ؟

- نعم .. أظن أن وجودها في هذا المكان يحرمها
من أشياء كثيرة ، خاصة وأنها مقيمة هنا إقامة
كاملة .

- لقد فكرت كثيراً في الأمر .. ووجدت أنه أصبح
يتعين علينا أن ننتقل إلى مدينة مثل القاهرة .

- هذا تفكير صائب .. وإن كنت لست بحاجة لبيع
المزرعة .. تستطيع أن تكلف شخصاً آخر بإدارتها .

- كلا .. أريد أن أودع هذا المكان نهائياً .

مرت بينهما برهة من الصمت خلال تجوالهما ،
قبل أن يردف الأب قائلاً :

- لقد أخبرتني ابنتي عن مقابلاتكما عند النبع ..
كما أطلعتني على سر ذهابك إلى هناك .

اعذرنى إذا كنت أقحم نفسي في أمورك الشخصية ..
لكني أريد أن أعرف ، هل نجح صفاء النبع وسكينة

المكان هناك ، في أن تجعلك تتغلب على حبك لتلك
الفتاة ؟

- أظن أنها قد خففت كثيراً من الآثار السيئة لهذا
الحب الأحمق .

غمغم الأب قائلاً :

- أما أنا فقد احتجت لسنوات طويلة من أجل تحقيق
ذلك ، وحتى هذه اللحظة لا أدري ما إذا كنت قد
نجحت أم لا .

قال له (عماد) متسائلاً :

- ماذا تعنى بذلك ؟

قال الأب سريعاً :

- لا شيء .. لا تشغل بالك بما قلته .. وقل لى ،

ما رأيك فى ابنتى ؟

فوجيء (عماد) بسؤاله ، وأحس بالخرج وهو

يقول :

- ابنتك ؟ إن لديك ابنة تحوز صفات رائعة حقاً .

قال الأب بصراحة مفاجئة :

- هذا حقيقى .. وهى تحبك .

ارتبك (عماد) وقد بوغت بما قاله الأب .. فلم

يدر ماذا يقول ، بينما استطرد الأب قائلاً :

- إنك لم تتوقع أن تقابل أباً ، يتحدث بمثل هذه

الصراحة عن ابنته .. لكنى لا أحب أن ألفت أو أدور
حول حقيقة واضحة .

- هل أخبرتك بذلك ؟

قال الأب بجدية :

- لست بحاجة لكى تخبرنى بذلك .. فأنا أدري

الأشخاص بابنتى ، وأثق بأنها تحبك .. وهذا مادعانى

إلى دعوتك إلى منزلى ، فأنا أريد أن أعرف ما إذا

كنت تبادلها نفس المشاعر أم لا ؟

قال له (عماد) :

- لقد نشأت بيننا صداقة قوية .. خلال الأيام

الماضية .. وأنا لا أنكر إعجابى بابنتك وتقديرى لها ..

كما لا أنكر أنها خففت كثيراً من أحزاني ، لكنى لم

أتصور أن تتطور الأمور بالنسبة لها على هذا النحو .

تنهد الأب وهو يتطلع إلى الأفق الممتد أمامه قائلاً :

- وماذا كنت تنتظر من فتاة وحيدة محرومة من

الحنان والعاطفة ، عندما تلتقى بشاب مثلك ؟

- هذا يثبت أن عاطفتها نحوى وليدة ظروف غير

طبيعية .

- لكنك سمحت لهذه العاطفة أن تنمو بتكرار لقاءاتك

معها :

إنك ستعود إلى القاهرة لتمارس حياتك بشكل طبيعي
بعد أن عالجت أزمته هنا ، مخلفاً لها التعاسة .
- أظن أنه بعد مغادرتها لهذا المكان ، وممارسة
حياتها بطريقة طبيعية في مكان مختلف ، بعيداً عن
هنا ، فإنها ستلتقى بشخص ما وفي ظروف أفضل ..
سيختلف الأمر بالنسبة لها .
قال له الأب محتدداً :

- قلت لك إنها تحبك ، ولا دخل لأي ظروف في
عاطفتها هذه نحوك ، فحبها لك أقوى مما تتصور .
هدأت حدة الأب قليلاً وهو يقول له :

- آسف يا بنى إذا كنت قد تحدثت إليك بهذا
الأسلوب .. وأرجو أن تقدر مشاعر أب ، لم يفز من
هذه الدنيا إلا بابنة وحيدة هي كل حياته .. ولا يتمنى
شيئاً سوى إسعادها . خاصة إذا كان يشعر بالذنب
نحوها ؛ لأنه برغم حبه لها حرمها من أشياء كثيرة ،
وأجبرها على أن تشاركه سجننا بلا جريمة .

قال له (عماد) وهو يشعر بالتعاطف معه :
- إننى أقدر مشاعرك وأحترمها .. لكنى لا أعرف
ماذا أقول لك ؟ وما هو التصرف الذى يتعين على أن
أفعله ؟

وضع الأب يده على كتف (عماد) قائلاً :
- لا تقل شيئاً .. فلا ذنب لك فى أنك لم تستطع أن
تحمل لها نفس المشاعر التى تكنها نحوك .
وأطلق زفرة طويلة مستطرداً :
- مسكينة يا بنيتى .. أعرف أن هذا سيجلب لك
الشقاء .. كنت أتمنى أن أراك عروساً قبل أن أموت .
قال له (عماد) متأثراً :
- أنا مستعد ..

لكن (سلوى) جاءت قبل أن يكمل جملته لتخبرهم
بأنها قد أعدت الطعام ..
تعلقت نظرات الأب للحظة بـ (عماد) قبل أن يذهب
مغاً لتناول الغداء .

★ ★ ★



٦ - سامحني يا ابي ..

عاد (عماد) إلى مقر عمله ؛ ليحزم حقائبه استعداداً للسفر ، وهو مشتت الذهن .. مضطرب التفكير . أخذ يحدث نفسه قائلاً :

- ما هذا الذي كنت أتوى أن أقوله للرجل ؟
لقد كدت أن أخبره بأنني مستعد للزواج من ابنته .
صمت برهة وهو يفكر قائلاً :

- ولم لا ؟
ما دمت معجباً بها ، وأرى فيها الكثير من الصفات والمميزات .. فما هو المانع من زواجي بها ؟
لكن هذا أمر لم يخطر بباله مطلقاً .

نظر من نافذة الكابينة الخشبية التي يقيم بها إلى الصحراء الممتدة أمامه ، وهو يهمس لنفسه قائلاً :

- ربما لو أنني أتحت لنفسي الفرصة للتفكير .
هز رأسه وكأنه يحاول أن يطرد هذه الفكرة من عقله قائلاً :

- كلا .. لا تكن أحمق يا (عماد) .. ماذا ستفعل بفتاة بريئة لم تتل حظها من التعليم ، ولا دراية لها بالتعامل مع المجتمع والناس خارج هذا الوادي ؟
ثم إتني لا أحمل لها عاطفة حب حقيقية ، برغم إعجابي بها ، وتقديري لكل المزايا التي تحوزها .
ولكن هل لا بد له من أن يحبها ، لكي يتخذ منها زوجة له ؟

وماذا فعل الحب به ؟ إنه لم يجلب له سوى الإذلال والمعاناة والألم .
لقد أحب (منى) ، لكنها هجرته وأعطت له مثلاً سيئاً عن الحب .

لقد استطاعت لقاءاته مع (سلوى) أن تلهيه قليلاً عن صدمته العاطفية ، وربما لو عاد إلى القاهرة مرة أخرى ، لتجددت آلامه ، وعاد ليفكر في (منى) مرة أخرى .

ربما لو تزوج من فتاة مثل (سلوى) واصطحبها معه إلى القاهرة لضمن أن يتخلص من هذا الحب وآلامه إلى الأبد .

حاول أن يطرد فكرة الزواج من خياله .. لكنها ظلت تعاوده وتراود ذهنه .

وفجأة وجد نفسه يتوقف عن الاستمرار في حزم
حقائبه ، وقد سيطر عليه إحساس قوى بالذهاب إلى
المزرعة .

فوجئ به زميله وهو يستقل سيارة الجيب ، فسأله
قائلاً :

- (عماد) إلى أين أنت ذاهب ؟

قال له (عماد) وهو مازال تحت تأثير ذلك
الإحساس القوي ، الذي تملكه .

- سأذهب في زيارة قصيرة .

قال له زميله بدهشة :

- لكن الطائرة التي ستقلنا ستقلع بعد خمس ساعات
من الآن .

- سأعود قبل إقلاعها .

أوقف السيارة أمام المزرعة .. ثم فتح بابها
الخشبي مقترباً من المنزل ، وما لبث أن سمع صوت
بكاء ينبعث من الداخل ، فتوقف عن السير للحظة
وهو يسترق السمع .

وما لبث أن طرق الباب الذي كان مفتوحاً .

ودلف إلى الداخل ، ليجد الأب ممدداً فوق فراشه ،

وهو في حالة يرثى لها ، بينما ابنته تبكى بجواره .
تطلعت إليه الفتاة بعينيها المغرورتين بالعبرات
قائلة :

- (عماد) .. إن أبي يموت .

اندفع (عماد) نحو الرجل المسجى على الفراش
ليمسك بيده .

كان النبض ضعيفاً .. ووجهه مصفراً وقد تقاطرت
حبات العرق البارد فوق جبينه .

قال لها وقد اعترته حالة من القلق :

- إنه مريض للغاية .

قالت له (سلوى) وهي تنتحب :

- لقد اكتشفت منذ لحظات أنه مريض بالقلب ،
وأنه أخفى عنى ذلك .

لم أعرف ذلك إلا حينما طلب منى إحضار الدواء
له ، بعد أن ضاق صدره وعجز عن الوصول إليه .

هل تتصور ذلك ؟ لقد ظل يعمل في هذه المزرعة
عملاً مضمناً دون أن يتفرق بقلبه المريض ، ودون
أن يخبرني بشيء .

لابد أنه كان يشفق على من أن أعرف الحقيقة .

والآن هأنذى أراه يحتضر أمامى دون أن أملك وسيلة
لمساعدته .

فأين هى الوسيلة فى مكان ناء كهذا ؟ .

هب (عماد) واقفاً وهو يقول :

- سأذهب لأحضر له طبيبياً .

لكن أصابع الرجل الضعيفة تعلقت بيده ، وهو يقول

له بصوت واهن :

- لا داعى لذلك .. فأنا أعرف أن نهايتى قد حانت .

ألقت الفتاة برأسها على صدر أبيها ، وهى تجهش

بالبكاء قائلة :

- أبى .. لا تقل ذلك .

قال لها الأب بصوت خافت :

- (سلوى) .. من فضلك .. اتركىنى مع (عماد)

بمفردنا .

قالت له وهى لا تستطيع أن تغالب دموعها :

- لا يمكننى أن أتركك .. أرجوك يا أبى دعه يحضر

لك الطبيب .

قال لها وقد تحشرج صوته :

- أرجوك أنت .. افعلى ما طلبته منك .. إبنى أريد

أن أتحدث إليه بمفردنا .

استجابت (سلوى) لطلب أبيها ، وساعدها (عماد)
على النهوض ومغادرة الحجرة .

ثم جثا بجوار الرجل المريض .. الذى نظر إليه
بعينين يطل منهما شبح الموت قائلاً :

- لقد قضى الأمر يا بنى .. ليست سوى دقائق
قليلة ، وألفظ بعدها أنفاسى الأخيرة .

قال له (عماد) مواسياً :

- لا تقل هذا .. لا يعلم الآجال إلا الله .

قال له الأب بصوت متحشرج :

- ونعم بالله يا بنى .. لكن علامات الموت تبدو

واضحة أمامى ، وأشعر أن أجلى قد حان .

إبنى لا أخشى الموت .. ولكن ما يحزننى هو أننى

سأفارق هذه الدنيا دون أن أحقق شيئاً مما تمنيتـه

لابنتى .. ودون أن أعوضها عن البؤس الذى عاشته

هنا .

كنت أحلم بأن أحقق لها قدراً ولو ضئيلاً من

السعادة التى حرمت منها قبل أن أفارق الحياة .

أحسن (عماد) بتأثر شديد وهو يستمع إلى الرجل

المريض .. الذى تشبث بيده قائلاً :

- أرجوك لا تتخل عن ابنتى .. فلا يعلم إلا الله
ماذا سيكون من أمرها بعد موتى .. وما الذى يمكن
أن يحدث لها ، وهى تواجه هذه الحياة القاسية
بمفردها ؟ حياة لا تعرف عنها إلا القليل .. حياة
لا تعرف البراءة التى تربت عليها .

حينما التقيت بك أحسست بأنك إنسان نبيل ، كما
وصفتك ابنتى ، وإبنى أستطيع أن أمنحك ثقتى وابنتى
وأنا مطمئن إلى أنك سترعاها بعد موتى .

أرجوك عدنى بأنك لن تتخلى عنها .. وألا تتركها
تواجه هذه الحياة بمفردها بعد موتى .
خفض (عماد) رأسه قائلاً :

- أعدك بذلك .

تنهد الأب قائلاً بارتياح :

- الآن أستطيع أن أموت مطمئناً .

قال له (عماد) :

- والآن هل تسمح لى بأن أحضر لك طبيباً ؟

قال له الأب ، وقد أرخى رأسه فوق الوسادة ،
وانفرجت أسارير وجهه :

- لم يعد هذا مهماً .. المهم أنتى مطمئن الآن .
إبنى قد تركت ابنتى فى أيد أمينة .

ظل الأب متشبثاً بيد (عماد) للحظة .. ثم ما لبث
أن تراخت يداه وهوى ذراعه إلى جواره ..

وأدرك (عماد) أن الرجل قد قضى نحبه .

اضطر (عماد) إلى أن يؤجل سفره ، ريثما ينتهى
من المشاركة فى دفن الرجل ، الذى طلب أن يتم دفنه
بجوار المزرعة حسب وصيته .

واقترب من (سلوى) التى كانت واقفة أمام القبر
قائلاً بصوت هامس :

- يكفى هذا .. دعينا نذهب .

قالت الفتاة وهى تتطلع إلى القبر بنظرات ساهمة :

- لقد حرم حتى من جنازة حقيقية .

قال لها (عماد) مواسياً :

- أظن أنه كان يفضل ذلك .

قالت وعيناها مغرورتان بالعبرات :

- رحمك الله يا أبى .. فقد قاسيت الكثير فى هذه
الدنيا .

أمسك (عماد) بيدها قائلاً :

- لقد كنت شجاعة فى مواجهة الموقف حتى الآن ،
وأرجو أن تظلى كذلك .

أرجوك .. هيا بنا .

سألته وقد اتسابت العبرات فوق وجنتيها :

- إلى أين ؟

ستأتين معي .. سنعود إلى القاهرة معاً .

سألته قائلة :

- والمزرعة .

- سأدبر أمر بيعها .. وأودع ثمنها باسمك في البنك .

- لكن إلى أين سأذهب في القاهرة ؟ إنني لا أعرف

فيها أحداً ..

- ستأتين معي إلى منزلي .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- إلى منزلك !؟

- نعم .. وهل تظنين أنني سأتركك في الطرقات ؟

- لكن ..

ابتسم (عماد) في حنان ومودة قائلاً :

- لا تخافى .. قبل أن تدخلى إلى منزلي ، سأكون

قد عقدت قرأتى عليك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- تقصد أن تتزوج ؟

- نعم .. لقد قررت أن أتزوجك .

قالت له وهي تتراجع إلى الوراء :

- لكن .. هذا مستحيل .

- لماذا ؟

- لأننى لا أقبل أن تتزوجنى شفقة بى .

- من قال هذا ؟

- لو كنت راغباً فى الزواج منى لقدمت لى هذا

العرض من قبل .

لكنك تجد نفسك مضطراً إليه الآن ، بعد الوعد الذى

قطعته لأبى ، وتعاطفاً مع فتاة يتيمة تواجه الحياة

بمفردها .. وأنا أرفض الزواج على هذا النحو .

همس لها (عماد) قائلاً :

- هذا غير صحيح .. إننى بحاجة إليك قدر احتياجك

إلى .. كما أتنى أحمل بالنسبة لك الكثير من التقدير

والمودة .. وأظن أن هذا هو أهم ما يحتاج إليه

الزواج .

سألته قائلة :

- والحب ؟

صمت برهة وهو يحدق فيها قبل أن يسألها قائلاً :

- (سلوى) .. هل تحبيننى حقاً ؟

قالت (سلوى) وهى تدير له ظهرها :

- ليس من اللائق أن نتحدث عن الحب والزواج ،
ولم ينقض على دفن أبى سوى ساعات قليلة .
- لقد أوصانى أبوك بك قبل وفاته ، وطلب منى أن
أرعاك .

- ولهذا تريد أن تتزوجنى .. عملاً بوصية أبى .

- لا أظن أن هناك وسيلة أخرى ، لرعاية فتاة
شابة مثلك ، سوى هذا .

- إذن .. فقد كنت محقة عندما قلت إنك مضطر
لهذا الزواج .

- إنك لم تجيبى عن سؤالى الذى طرحته عليك من

قبل .. هل أنت واثقة بأنك تحبيننى حقاً ؟

نظرت إليه بتمعن قائلة :

- أظن أنك لست بحاجة لإجابة .

همس لها قائلاً :

- إذن أمنيى الوقت الكافى لكى أحبك .

- وما الذى يضطرك للزواج من فتاة لا تحبها ؟

- لأننى كما قلت لك أحتاج إليك بقدر احتياجك إلى ..

ولأنك أفضل فتاة قابلتها فى حياتى .

(سلوى) .. يمكننى أن أكذب عليك ، وأن أخبرك
بأننى أحبك .. وأنى أرغب فى الزواج منك لأجل هذا
السبب .

لكننى لا أريد أن أكذب عليك .. ولست مستعداً
لخداع هذه البراءة التى أراها فى عينيك .

لكنى أحمل لك الكثير من المشاعر الطيبة فى الوقت
الحالى .. ومثل هذه المشاعر لا بد أن تنتهى مع
مرور الوقت والعشرة بالحب .

سألته (سلوى) قائلة :

- وما الذى يحتاج إليه شخص مثلك من فتاة بسيطة
مثلى ؟

- أحتاج إلى الكثير من الحب الذى أراه فى عينيك ،
حتى أومن مرة أخرى بأنه ما زال يوجد حب صادق
ومخلص فى حياتنا .

واستطرد قائلاً :

- والآن قولى لى ، هل أنت موافقة على زواجنا ؟

قالت له وهى تشعر بارتباك شديد :

- لا أدرى ماذا أقول لك ، إن مشاعرى مضطربة ..
ولا يمكننى التحدث عن الزواج مع الظروف التى أمر
بها الآن ، وبعد وفاة أبى مباشرة .

- إنك ستأتين معي الآن إلى القاهرة ، وهناك يمكنك
أن تحددى قرارك .

جلست (سلوى) بجواره وهي تتطلع إلى الأفق
الممتد أمامها بعينين حزينتين .

لقد كان حلمها أن تراه وتتحدث إليه .

أما أن يطلبها للزواج فهذا يتجاوز أحلامها .

لو كانت في ظروف مختلفة عن هذه التي تمرُّ بها
الآن ، لقفزت في الهواء من شدة الفرح .

لكن من أعاجيب القدر ، أن يحدثها عن الزواج
يوم وفاة أبيها ، ودمعها لم يجف بعد ، وأن يأتي
طلبه للزواج بلا حب .. وبلا مشاعر ، كتلك التي
حلمت بها وتمنتها في سنوات مراهقتها المكبوتة .

إنها لا تدري الآن .. أتحزن أم تفرح ؟

ولماذا يعتربها إحساس بالذنب ، لأن حزنها على
أبيها ليس بالقدر الكافي ؟

وإحساس بالوجوم برغم أن الشخص الذي أحبته
منذ أن وقعت عيناها عليه ، هو الذي يطلب الزواج
منها الآن ؟

إن مشاعرها مضطربة ، على نحو لا يجعلها قادرة
على فهمها ..

نظرت وراءها وهي تبتعد عن المكان الذي عاشت
سنوات صباها فيه .. وكأنها تودعه .

بقدر ما أبغضت هذا المكان أحيانا ، بقدر ما تحس
بأنها ستفتقده كثيرا ، وأنها ستودع معه سنوات البراءة ..
وسكون الطبيعة هنا ، كما ستودع أباه .

الأب الذي أحتضنها ومنحها كل ما تبقى من حياته .
ولم يلق منها قل موته سوى جحود بفضله ،
وإصرار على أن تشعره بعقدة الذنب نحوها .

بكت متأثرة وهي تتطلع خلفها قائلة :

- سامحنى يا أبى .

★ ★ ★



٧ - عالم جديد ..

تزوج (عماد) من (سلوى) بعد عشرة أيام من وفاة أبيها .. واصطحبها معه إلى أحد الفنادق الكبرى بالإسكندرية لقضاء شهر العسل .

لقد تم زواجهما دون ضجة ، وبلا ليلة عرس حقيقية ، بعد أن اتفقا على ذلك .. نظراً لظروف وفاة أبيها .. ولأن ذلك قد صادف قبولا لدى (عماد) ، الذى لم يرحب كثيراً بإقامة ليلة زفاف كبيرة .. وعندما جمعتهما غرفة واحدة بالفندق ، كانت (سلوى) ما زالت تحت تأثير مشاعرها المضطربة ، وغير قادرة على تحديد أحاسيسها الحقيقية فى هذه اللحظة . أهى سعيدة لأنها تزوجته ؟ أم حزينة لأن ذلك قد تم بعد وقت قصير من وفاة أبيها ؟ ودون وجوده بجوارها ؟

احتوتها هذه الأحاسيس المضطربة ، وهى قابضة فى أحد أركان الغرفة ، دون أن تنزع عنها ثوب العرس بعد .

بينما كان هو قد فرغ من تغيير ثيابه .. ونظر إليها وهى جالسة فى مكانها قائلاً :

- لماذا لم تبدلى ثيابك بعد ؟

أطرقت برأسها دون أن تجيبه .. فاقترب منها ليرفع وجهها إليه ، وهو يضع أصبعه تحت ذقتها قائلاً :

- أنت مضطربة ، أليس كذلك ؟

هزت رأسها مصدقة على كلامه .

فقال لها بصوت عطوف :

- لا يوجد ما يدعو إلى اضطرابك .

رأت بينهما برهة من الصمت قبل أن يستطرد قائلاً :

- كنت أظن أنك ستكونين سعيدة هذه الليلة .

قالت له بصوت خافت .

- إننى سعيدة بالفعل .

- لا يبدو هذا واضحاً عليك .

- لقد تزوجنا فى ظروف ..

قاطعها قائلاً بتفهم :

- أعرف أنها لم تكن ظروفًا طبيعية .. لكن دعينا

نتغلب عليها .

لكنى استعنت بثوب قديم من ثيابك التى أحضرتها من
المزرعة .. وأرجو أن أكون قد نجحت فى انتقاء
ما يتناسب مع مقاييس جسمك الحالية .. وأن يلائمك
ذوقى فى الاختيار .

قالت له وهى لا تزال متأثرة بما تراه أمامها ؟
- ذوقك ؟ إبنى لم أر ما هو أجمل من ذلك .
لكن كيف لم أشعر باختفاء ذلك الثوب الذى أخذته ،
برغم أن ما أملكه من ثياب قليل ؟

- لقد دبرت الأمر ليكون بمثابة مفاجأة لك .
- لقد اعتدت على ألا أهتم كثيرًا بما تهتم به الفتيات ،
من ارتداء أفخر الثياب ، ومتابعة أحدث خطوط
الموضة .

كنت أكتفى غالبًا ببلوزة وبنطلون طوال اليوم ، وأنا
فى الوادى .

- ما كان يصلح للوادى .. لا يصلح هنا .
واستطرد قائلاً :

- هيا .. تعالى لأريك ما اشتريته لك من أحذية
جديدة .

- هل اشتريت لى أحذية أيضًا ؟

وأحاط كتفيتها بساعده فى حنان قائلاً :

- تعالى لأريك ما أحضرتك لك من ثياب .
- لى أنا !؟

قال لها وهو يصطحبها إلى الدولاب المغلق فى
الحجرة :

- نعم .. أنت زوجتى الآن ، ولا بد أن أجعلك فى
أبهى وأزهى صورة .

طلب منها أن تفتح باب الدولاب ، ففتحته بتردد
لتفاجأ بأنواع مختلفة من الثياب الفاخرة .

ارتسمت على وجهها ملامح الدهول وهى تقول :

- ما كل هذا ؟
- إنها ثيابك الجديدة .
قالت له غير مصدقة :

- غير معقول .. كل هذا من أجلى ؟
- وسوف أحضر لك المزيد .

- لكن .. متى أحضرت كل هذا ؟

- لقد رتبت الأمر ، وأحضرت الملابس إلى هنا قبل
حضورنا .

لا أدري ما إذا كنت قد وفقت فى المقاس أم لا ،

الذى يلفه الصمت الموحش ، إلى هذه المدينة الكبيرة
الصاخبة .

وقد أصبح من حقها ، أن تتأبط ذراع ذلك الرجل
الذى أحبته ، والذى أصبح زوجها ، لترتاد معه أماكن
مختلفة ومتنوعة ، تختلف عن تلك التى اعتادت
عينها أن تراها كل يوم ، وأن لديها كل هذه الثياب
الأنيقة ، والأحذية الجميلة .. وأشياء كثيرة طالما
تخيلتها وحلمت بها .

تناولت أحد الأثواب التى أحضرها لها زوجها
واحتضنته بين ذراعيها .. وهى تتمايل فى الغرفة
كطفلة صغيرة سعيدة .

وتطلعت إلى نفسها فى المرآة وهى تتساءل :

- ترى هل بدأت الحياة تبتسم لها ؟

مضت الأيام التالية على (سلوى) زاخرة بكل
معانى البهجة والمرح .

لقد تفتحت عينها مع (عماد) على عالم جديد ،
كان مجهولاً بالنسبة لها ، ولم تعرفه من قبل ..

وكان (عماد) يبذل أقصى ما فى وسعه لإسعادها .

لكن أكثر ما كان يزعجها ، هو ذلك الشرود الذى

- تعالى لترى بنفسك .

تأملت الأحذية الأنيقة التى أحضرها لها زوجها ،
وقد تهللت أسارير وجهها قائلة :

- إنها جميلة للغاية .

- هل أعجبتك حقاً ؟

أحاطت عنقه بساعديها قائلة :

- إنك زوج رائع .

ثم ما لبثت أن تنبهت إلى ما فعلته .. فأبعدت
ذراعيها وقد تضرج وجهها بالاحمرار من شدة الخجل
قائلة :

- آسفة .

ابتسم قائلاً :

- لماذا تتأسفين ؟ هل نسيت أنك زوجتى ؟

اقترب منها ليقبلها قبلة سريعة على وجنتها قائلاً :

- هيا بدلى ثيابك ريثماً أطلب العشاء .

انصرف (عماد) من الحجرة ، وتركها وهى شبه
حالمة .

إنها لا تصدق أن هذا التحول الذى طرأ على حياتها
قد حدث بالفعل ، وأنها انتقلت من ذلك المكان النائى

كان ينتابه من آن لآخر ، ليذكرها بتلك الصورة التي
رأته عليها ، وهو جالس بجوار النبع .

أحيانا كانت تراه .. وكأنه معها بجسده فقط ، بينما
روحه تحلق بعيداً .. فى مكان آخر غير الذى
يجمعهما .

كانت تعرف أنها .. وإن كانت قد أصبحت تشاركه
حياته ، إلا أنها لم تمتلك قلبه بعد ، وأنه برغم كل
مظاهر السعادة والانسجام التي تبدو عليهما كزوجين ،
إلا أنها لم تفلح فى أن تجعله يحبها حتى الآن .

لم تكن غاضبة لذلك ، برغم ما يثيره فى نفسها
من ألم .. فقد كان هذا هو إتفاقهما منذ البداية .

وكانت تأمل فى أن يتحقق هذا الحب يوماً ما ، مع
طوال المعاشرة ، ومع كل الروابط الأخرى التي تجمع
بينهما .

لكن ما كان يؤلمها حقاً ، هو إحساسها بأنه مازال
يفكر فى تلك الفتاة الأخرى التي أحبها .. وأنها
مازالت تشغل تفكيره .

إنها أنثى .. وهى تحبه .. وهى أيضاً زوجة ..
ولا حيلة لها فى أحاسيس الغيرة التي تنتابها من آن
لآخر ، وتنغص عليها حياتها ، وتفسد عليها سعادتها .

***** ٩٦ *****

نعم .. فقد كانت منزعة لعدم قدرتها على التأقلم
سريعاً مع ظروف حياتها الجديدة .

فقد عاشت طويلاً كفتاة بريئة ، ليس لديها فكرة
واضحة عن التعامل مع تقاليد مجتمع جديد عليها ،
ومع قواعد يتعين عليها اتباعها فى تناول الطعام ..
وفى التخاطب مع الآخرين .

كما كانت تبدو شديدة الإحساس بالرهبة من
اضطرابها لارتياح أجواء غريبة بالنسبة لها .

كان (عماد) يقدر ذلك فى البداية .. ويحاول
المحافظة على مشاعرها كلما تعرضت لموقف حرج ..
أو ارتبكت إزاء تصرف ما .

لكنه ما لبث أن بدأ يبدى بعض التحفظات على
تصرفاتها .

ثم تحولت هذه التحفظات إلى ملاحظات قاسية .
كانت تشعر أحياناً وكأنه يخجل من تصرفاتها هذه .
وكانت تجتهد فى محاولة تعرف أساليب التعامل
التي يتعين عليها اتباعها .. والسلوك الواجب اتباعه
فى مناسبات معينة .. لكن خبرتها المحدودة وخجلها ،
كانا يدفعانها إلى الارتباك ، وارتكاب الأخطاء أحياناً .

***** ٩٧ *****

مر على زواجهما أكثر من شهر .. وكانت (سلوى)
قد انتقلت لتعيش فى منزل زوجها .. وبدأت تتأقلم
تدريجياً مع المناخ الجديد الذى انتقلت إليه .

وذات يوم عاد (عماد) إلى المنزل مبكراً ، حيث
تأهب لإعداد طعام الغداء لهما .

فلحق بها فى المطبخ ليسألها قائلاً :
- ماذا تفعلين ؟

فوجئت بعودته مبكراً .. فقالت له :

- (عماد) .. لقد عدت من عمك مبكراً .

ابتسم قائلاً :

- نعم .. لم أستطع الانتظار قبل أن آتى وأنقل إليك

هذا الخبر السار .. لقد نلت ترقية فى عملى اليوم .

هللت قائلة :

- حقاً .. يا له من خبر سعيد !

قال (عماد) :

- لقد وجدت قرار الترقية فى انتظارى اليوم .. هل

تعرفين ما الذى يعنيه هذا ؟

ليس مجرد زيادة فى المرتب ، أو وضع مميز فى

الشركة .. بل تقدير حقيقى لعملى وجهدى طوال

السنين الماضية ..

قالت له وهى تشعر بفرحة حقيقية لأجله :

- إنك تستحق كل تقدير يا حبيبى .. إننى سعيدة
للغاية من أجلك .

نظر إلى الوعاء الذى أمامها قائلاً :

- لكنك لم تخبرينى بعد ، ما هذا الذى تعدينه ؟

أجابته قائلة :

- ألم تطلب منى أن أعد لك (كشرى) ؟ إننى
أتأهب لذلك .

قال لها معترضاً :

- (كشرى) ؟ أقول لك إننى قد نلت ترقية اليوم ،

وتخبريننى بأنك تعدين (كشرى) .

ابتسمت قائلة :

- أليس هذا هو ما طلبته ؟

- لا .. لا .. دعك من هذا . إننا سنحتفل بهذه

المناسبة .

- كيف ؟

- سأدعوك لتناول الطعام فى أرقى مطاعم القاهرة

احتفالاً بهذه المناسبة .

- لا داعى لذلك .. يمكننا أن نعد أصنافاً أخرى من

الطعام هنا .

٨ - لقاء مع الماضي ..

تلقت (عماد) حوله وهو يهمس لها قائلاً :
- لا تضغطي بالشوكة على قطعة اللحم هكذا .. ألم
أعلمك من قبل كيف تمسكين بها ؟ وكيف تغرسين
أطرافها في قطعة اللحم برفق ؟ لماذا تتصرفين على
هذا النحو ؟

قالت له بارتباك :
- آسفة .

قال لها وهو ينظر إلى المائدة المجاورة بخرج :
- لا عليك .. إن ارتباكك هو الذي يجعلك تتصرفين
هكذا ، في حين لو حاولت أن تتعاملى مع تلك الأشياء
ببساطة ، ستجدينها سهلة وستعتادين عليها ، دون
حاجة إلى تكلف .

قالت له وهى تشعر بالذنب :

- إننى أحاول ..

وفى اللحظة التى استعد فيها (عماد) لاستئناف

- كلا .. اسمعى ما أقوله لك .. سنتناول طعامنا فى
مطعم أنيق يطل على النيل .. وستتناول أفخر أنواع
الطعام .

- لكن الميزانية لا تسمح :

- فلنتغاض عن الميزانية اليوم .

- إننى مازلت أفضل

قال لها مقاطعاً :

- ماذا بك ؟ أكلما دعوتك للذهاب إلى أحد الأماكن

العامّة تبدين كل هذا الارتباك ؟

- أنت تعرف أننى لا أحسن التصرف فى تلك الأماكن .

- دعك من هذا الهراء .. لا بد أن الفترة التى

قضيتها هنا قد علمتك الكثير .. هيا اذهبي لارتداء

أشيئك فستان لديك ، ودعينا نحتفل بهذه المناسبة .

★ ★ ★



طعامه ، حانت منه التفاتة إلى إحدى الموائد القريبة ..
فامتقع وجهه ، وتوقف عن تناول الطعام فجأة .

لاحظت (سلوى) ما طرأ عليه ، فسألته قائلة
بانزعاج :

- ماذا بك ؟

كان يحدق في فتاة جميلة ترتدى ثوباً وردياً ،
وتجلس برفقة أحد الأشخاص .

واسترعى انتباهها تلك النظرة المحدقة في الفتاة ..
والتعبير الغريب الذى ارتسم على وجهه ، فسألته
قائلة :

- هل تعرفها ؟

قال لها وهو يلقي بفوطة الطعام على المائدة ،
دون أن يقدم لها إجابة ؛ وقد تقلصت ملامحه :
- من الأفضل أن ننصرف .

أرشدتها غريزتها إلى أن هذه الفتاة هي (منى)
حبه القديم ، لكنها حاولت أن تتجاهل ذلك قائلة :

- لماذا ؟

قال لها محتدماً :

- لأننى لم أعد أرغب فى البقاء هنا .

***** ١٠٢ *****

قالت له وهى تتصنع عدم الفهم :

- هل هذا بسبب تصرفى غير اللائق فى تناول الطعام ؟

- كلا .. كل ما هنالك أنتى أشعر ببعض التعب ،

وأرغب فى العودة إلى المنزل .

نادى الجرسون سريعاً ؛ لكى يقدم له الحساب ،

لكنه لم يسمعه .

بينما قالت له زوجته وهى تحدجه بنظرة فاحصة :

- هل تعرف هذه الفتاة ؟

قال لها بانفعال :

- أية فتاة ؟

- تلك التى أثارت اضطرابك على هذا النحو .

قال لها بارتباك :

- كلا .. إننى .. إننى

لكنه لم يكمل جملته ، وازداد اضطرابه حينما رأى

الفتاة مقبلة عليهما .

ابتسمت الفتاة وهى تقترب من مائدتهما حيث

توقفت أمامه قائلة :

- (عماد) !! غير معقول !! أخيراً ظهرت .. أين

كنت مختفياً ؟

***** ١٠٣ *****

نهض واقفاً وجبينه يتصبب عرقاً ، وهو يصافح
يدها الممتدة إليه قائلاً :

- أهلاً (منى) .

كانت زوجته قد نهضت لمصافحتها بدورها .

بينما نظرات الفتاة تتفحصها في فضول .

فقدمها إليها قائلاً :

اسمحي لي أن أقدم لك زوجتي .

قالت (منى) وقد ارتسمت ملامح الدهشة على

وجهها :

- زوجتك ! حقاً؟ يا لها من مفاجأة .

ومدت لها يدها مصافحة وهي تنظر إليها

باستخفاف .

بينما أكمل (عماد) التعارف قائلاً :

- المهندسة (منى) .

قالت لها (سلوى) بهدوء :

- أهلاً بك .

قال لها (عماد) وآثار الارتباك ما زالت واضحة

على وجهه وهو يشير إلى أحد مقاعد المائدة التي

يجلس إليها :

- تفضلي .

قالت له بنعومة :

- ألن أضايقكما ؟

قال لها :

- نعم .. تفضلي بالجلوس ..

نظرت إلى (سلوى) بطرف عينها قائلة :

- ربما سببت إزعاجاً للمدام .

رسمت (سلوى) ابتسامة باهتة على وجهها وهي

تقول لها :

- أبداً .. تفضلي .

جلست قائلة :

- على أية حال .. إتني لن أجلس معكما كثيراً ،

فلا بد أن أعود إلى مائدتي ، لأن (مدحت) في

انتظاري .

نظر (عماد) إلى الرجل الجالس على المائدة قائلاً :

- يمكنه أن ينضم إلينا لو أردت .

- لا داعي ، لذلك .. فسوف ننصرف بعد قليل .

سألها قائلاً :

- هل هو خطيبك ؟

أجابته قائلة :

- كلا .. إبنى لم ارتبط بأى خطبة ..

وأردفت قائلة :

- لكن متى تزوجت ؟

أجابها قائلاً :

- منذ شهر تقريباً .

نظرت إلى (سلوى) قائلة :

- إن زوجتك جميلة .

هزت (سلوى) رأسها قائلة :

- أشكرك على هذا الإطراء .

قالت (منى) وهى توجه حديثها إلى (عماد) :

- لكن لماذا لم تدعنا إلى زفافك ؟

- لقد تم كل شئ سريعاً :

واستطرد قائلاً :

- حينما عدت من الوادى الجديد ، وجدت أنك قد

تركت الشركة وتقدمت باستقالتك .

- لقد انتقلت لشركة أخرى .

- لقد ظننت أنك قد تزوجت .

- فى الحقيقة .. لم يكن الشخص الذى اخترته

مناسباً .

***** ١٠٦ *****

قال لها بلهجة تهكمية :

- مع أننى حينما رحلت ، كان يبدو بالنسبة لك مناسباً تماماً .

قالت له وهى ترمقه بنظرة ذات مغزى :

- كلنا نخطئ أحياناً .

ثم عادت لتقول ، وهى تتطلع إلى (سلوى) :

- هل زوجتك من القاهرة ؟

أجابها قائلاً :

- نعم .. ولكننا

قالت لها (سلوى) سريعاً وقد أغضبها أن توجه

هذه الفتاة أسئلتها إليه مباشرة متجاهلة وجودها :

- لكننا تعارفنا فى الوادى الجديد .

قالت (منى) بدهشة موجهة حديثها إلى (عماد)

مرة أخرى :

- فى الوادى الجديد ؟ هل هى تعمل هناك ؟

ردت عليها (سلوى) مرة أخرى وبأسلوب أكثر

حدة :

- لقد كنت أعيش مع أبى هناك ، حيث كنا نمتلك

مزرعة صغيرة . ومن فضلك لو أردت أن تستفسرى

***** ١٠٧ *****

عن شيء خاص بي ، فيمكنك أن توجهي السؤال إلى مباشرة .. وأنا قادرة على أن أرضى فضولك ..
ابتسمت (منى) بسخرية قائلة لـ (عماد) .
- إن زوجتك حادة الطباع قليلاً .. لكن هذا لا يقلل من جمالها .

ثم نهضت قائلة :
- على أية حال ، أنا مضطرة للانصراف الآن .. ولا بد أن نلتقى مرة أخرى .

أوماً (عماد) برأسه دون أن يقول شيئاً .
بينما تحولت (منى) إلى (سلوى) قائلة :
- لقد سعدت بلقائك يا مدام .
اكتفت (سلوى) هي الأخرى بإيماءة بسيطة من رأسها دون أن تعقب بشيء .

- ظل (عماد) شاردًا وهو يقود سيارته طوال الطريق ، وقد بدا أن هذا اللقاء قد ترك أثرًا في نفسه .
بينما ظلت (سلوى) تراقبه بطرف عينيها .. وانفعالات شتى تتصارع في نفسها .. وما لبثت أن قالت له بصوت خافت :
- إنها هي .. أليس كذلك ؟

أوماً لها برأسه دون أن يجيب .
قالت له (سلوى) :
إنها لم ترتبط بذلك الرجل الذي تخلت عنك من أجله .. ولم تتزوج بعد .
نظر إليها قائلاً :
- ماذا تعنين ؟

- أعنى .. أن الفرصة ما زالت ساحة أمامك .
- هل نسيت أنني رجل متزوج ؟
- من فتاة لا تحبها .
- متى تتوقفين عن ترديد هذه الكلمات ؟
- لقد بدا عليك الاضطراب حينما رأيتها .
- ذلك أمر طبيعي .. فلم أظن أننا سنتقابل في هذا المكان .

- كان لا بد لكما أن تتقابلا يوماً ما .. ما دمتما تعملان في مهنة واحدة .. ترى ماذا كان شعورك الحقيقي حينما رأيتها ؟
- لا داعي لترديد هذه الأسئلة .
- لماذا ؟
- لأنها تنطوي على قدر من الشك .. ولأنها أسئلة بلا معنى .

واستطرد قائلاً بانفعال مفاجئ :

- لماذا نهضت لتحييتها ؟ ألم أخبرك من قبل أنه يتعين على السيدة ألا تنهض لمصافحة أحد ، وأن هذا مخالف لقواعد اللياقة ؟ كان يتعين عليها أن تصافحك وأنت جالسة .

إلى متى سأظل أنبهك إلى مراعاة تلك الأشياء ؟

- وإلى متى ستظل توجه لي تلك الملاحظات بتلك

الطريقة الجارحة ؟

- إنني أحاول أن أعلمك كيف تتعاملين بطريقة

اجتماعية لائقة .

- لقد تزوجتني وأنت تعرف أنني جاهلة بتلك

الأمر .

- وإلى متى ستظلين جاهلة بأبسط قواعد اللياقة ؟

اغرورقت عيناها بالعبرات قائلة :

- لماذا تزوجتني ما دمت تخجل مني ؟

أحس (عماد) بالندم لأنه جرحها على هذا النحو ،

فقال لها محاولاً تهدئة انفعالها :

- أنا لا أخجل منك .. لكنني أحاول أن أجعلك تتكيفين

مع المجتمع الجديد الذي انتقلت إليه .

قالت له (سلوى) وهي تنتحب :

- إنك ترانى إنسانة غير جديرة بك .

- هذا ادعاء غير صحيح .. وإلا لما تزوجتك .

- لقد تزوجنا فى ظروف غير طبيعية .. دوافعها

الشفقة والإحساس بالمسئولية تجاه وعد قطعه على

نفسك أمام أبى قبل موته .

- لقد أخبرتك من قبل بأن حاجتى إليك قدر حاجتك

إلى .

- وما الذى تحتاج إليه منى ؟ النسيان .. نسيان

الماضى وحبك القديم ، لكنك لم تنس بعد .. وقد

وضح هذا عليك منذ أن رأيت هذه الفتاة .

- أرجوك .. دعينا نتوقف عن هذا النقاش .. فليس

لدى استعداد لذلك الآن .

كان يبدو متعباً بالفعل .. وقد تقلصت ملامح وجهه .

وأدركت (سلوى) أنه ما زال واقعاً تحت تأثير هذا

اللقاء المفاجئ بحبه القديم .. وصممت برغم معاناتها .

★ ★ ★

***** ١١١ *****

***** ١١٠ *****

٩ - مشاعر باردة ..

لاحظت (سلوى) ما طرأ على زوجها من تغيير واضح ، خلال الأسابيع التالية لهذا اللقاء . أصبحت الساعات التي يقضيها بالخارج أكثر من المعتاد .

وعندما يعود إلى منزله ، كان يظل شاردًا .. محلقًا بأفكاره بعيدًا .

لم يعد يبدي اهتمامًا حقيقيًا بها كما كان يفعل .. أو كما كان يفعل ، بها بات الحوار بينهما قليلًا .. وبدأت تحس بأن صدره يضيق بمثل هذا الحوار .. حتى لو كان بشأن بعض الأمور العادية .

وبإحساس زوجة تحب زوجها .. أدركت أنه يبتعد عن عالمها تدريجيًا ، وأن مشاعره تنجرف وبقوة إلى عالم آخر .

ولا بد أن لهذا الأمر علاقة بحبه القديم . انتابها شعور قوى بالحزن والأسى .. فها هي ذى أحلامها تعود لتتسحب تدريجيًا .

وها هو ذا الرجل الذي أحبته وتمنته ، وأسعدها بزواجه منها ، يوشك أن يتخلى عنها .. إن لم يكن بجسده وبمشاركته لها حياتها ، فبمشاعره وروحه . لقد كانت بلهاء عندما ظنت أنها تستطيع أن تدفعه إلى حبها ، وأنه قد تغلب على مشاعره السابقة . فمن المؤكد أنه ما زال متعلقًا بتلك الفتاة .. وأن حبه لها يمتلك عليه كيانه . بكت متأثرة ، وقد أحست باكتئاب شديد قائلة لنفسها :

- حتى لو لم تكن هذه الفتاة موجودة في حياته .. فإن عالمها مختلف تمامًا عن عالمه . فهو المهندس الأنيق الوسيم ، صاحب العلاقات الاجتماعية المتعددة .. ابن المدينة بصخبها وسلوكياتها .

وهي فتاة بريئة ، لم تتفتح عيناها على المجتمع إلا منذ فترة وجيزة .. ولم تعتد على سلوكياته .. وما زال أمامها الكثير لكي تتعلمها وتعتادها .

وقد بدأ يضيق حتى من قبل أن يلتقى بهذه الفتاة ، بعدم قدرتها على التأقلم السريع ، مع المناخ الذي اعتاد أن يعيش فيه ويتعامل معه .

استقبلته بلهفة وقد فرحت بعودته المبكرة إلى
المنزل قائلة :

- إننى سعيدة لأنك عدت مبكراً إلى المنزل اليوم .
قال لها بجفاء وهو يحل ربطة عنقه :
- إننى مضطر للخروج بعد ساعة .

قالت له وقد ارتسمت على وجهها ملامح خيبة الأمل :
- إذن فلن تبقى بالبيت .

- لقد أقامت المؤسسة التى أعمل بها حفلاً لمجموعة
من رجال الأعمال . وأصحاب شركات البترول العالمية
فى أحد الفنادق .. وقد دعيت لحضور هذا الحفل .
وبالطبع لا بد أن أذهب لأن هذا الحفل مرتبط
بالعمل .

- إذن فلن تتناول عشاءك بالمنزل .

أجابها وهو يستعد لدخول الحمام قائلاً :

- كلا .. فى الغالب سأتناوله فى الفندق .

سألته قائلة :

- هل أتى معك ؟

- لا داعى لذلك .

قالت له معاتبة :

***** ١١٤ *****

- فى الأيام الأولى من زواجنا ، كنت تلح فى
مرافقتى لك فى مناسبات مختلفة .. أما الآن فلم تعد
ترغب فى ذلك .

قال لها بضيق :

- نعم .. كنت ألح عليك .. وكنت تحاولين دائماً
التهرب من الخروج معى ، أو مرافقتى إلى مثل تلك
الأماكن .. فأنا أعرف أنك لا تميلين إلى تلك الأجواء .
- لأننى لم أعتد الذهاب إلى أماكن كهذه .. وعندما
أتواجد وسط هؤلاء الأشخاص ينتابنى إحساس
بالرهبة والحرص .

قال لها متبرماً :

- نعم .. أعرف ذلك .. لذا أحاول أن أجنبك هذا
الحرص .

- لكننى مستعدة للخروج معك الآن .

نظر إليها بتمعن قائلاً :

- لماذا ؟ ما الذى طرأ ليدعوك إلى ذلك ؟

- لأننى أحاول التقارب معك .. وأن أفعل أى شىء
يرضيك ، إننى مستعدة للتغلب على خجلى وارتباكى ..
وأن أنخرط وسط هؤلاء الأشخاص ، وأتعلم الكثير ،
لأننى أحبك .. وأريد أن تكون فخوراً بى .

***** ١١٥ *****

بدا عليه التأثر للحظة .. ثم قال لها :

- إننى أقدر ما تحاولين أن تفعليه من أجل إرضائى ..
وأعرف أننى أبذو قاسياً فى تصرفاتى معك أحياناً ..
وأرجو أن تسامحينى لذلك ..

قالت له وقد اغرورقت عيناها بالعبرات من شدة
التأثر .. فهى قد افتقدت هذه اللهجة الحانية منه منذ
فترة طويلة :

- مهما كان ما أحاول أن أفعله ، فلا يمكننى أن
أنسى كل ما فعلته من أجلى .

لقد أنتشلتنى من الوحدة والضياع ، ومنحتنى
الأمان والدفء والاستقرار .

لقد كنت ضائعة بعد وفاة أبى .. ورضيت أن
تنزوج من هذه الفتاة الوحيدة البائسة .. وأن تمنحها
اسمك .

- لا داعى لترديد هذه الكلمات من أن لآخر .. إننى
لا أحب أن أراك تقللين من شأن نفسك .

قالت له وقد جرفتها عاطفتها :

- (عماد) .. إننى أحبك .. أحبك أكثر من أى
شئ آخر فى هذا العالم .

نظر إليها لبرهة .. ثم قال :

- هل تودين أن تأتى معى إلى هذا الحفل ؟
قالت له سريعاً :

- نعم .

- حسن .. أعدى نفسك للذهاب معى .

رافقتة (سلوى) إلى الحفل وهى ترتدى أجمل
أثوابها ، وقد تزينت لتبدو فى أبهى صورة .
وحانت التفاتته منه وهى تتقدمه داخل القاعة
المكتظة بالمدعوين .

فنظر إليها بإعجاب قائلاً لنفسه :

- يا لها من فتاة فائنة ! إنها تبدو جميلة للغاية
اليوم .

تبادل عبارات الترحيب مع المدعوين ، وهو يقدم
زوجته إليهم ، حيث سأله أحد زملائه قائلاً :

- لقد اخترت زوجة جميلة بالفعل يا (عماد) ..
لماذا لم تعرفنا بها من قبل !

ثم وجه حديثه إليها قائلاً :

- هل تصدقين يا سيدتى أنه حتى لم يفكر أن يدعونا
إلى حفل زفافه ؟

- إنها تعتذر لك .. لأنها لا تجيد الرقص .. كما
لا تجيد الإنجليزية .

قالت (سلوى) وقد أغضبها تدخل (منى) وتحدثها
نيابة عنها :

- إننى لا أجيد الرقص بالفعل ؟ لأننى لم أتعلمه ..
ولم أسع لذلك ، لكننى أجيد التحدث بالإنجليزية ..
ربما على نحو أفضل منك .

وتحدثت إلى الرجل بلباقة لتعتذر له وهى تنظر إلى
(منى) بتحد .

قالت لها (منى) بنبرة ساخرة :

- حسن .. أهنئك على إجادتك التحدث بالإنجليزية
بمثل هذه الطلاقة .. لكن ما دمت لا تجيد الرقص ..
هل تسمحين لى بمراقصة زوجك ؟

قالت لها (سلوى) وهى ما زالت ترمقها ، بنظرة
متبرمة :

- كلا .

ساد المكان جو من التوتر ، وبدأ (عماد) حرجاً
للغاية .. فقال لزوجته بخشونة :
- هل ستقررين لى ما أفعله ؟

وفجأة سمعا صوتاً يأتى من خلفهما قائلاً :
- لست وحدك الذى لم تدع إلى حفل زواجه
يا (سمير) .

نظر زميله إليها قائلاً :

- من .. (منى) ؟ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟
ابتسمت (منى) قائلة :

- هل نسيت ، أننا زملاء مهنة واحدة ، وأننى
أعمل فى شركة منافسة لكم ؟ لقد جئت لأخطف
عملاءكم الجدد .

صافحت (سلوى) قائلة :

- يسعدنى أن نلتقى مرة أخرى يا عزيزتى .
ونظرت إلى (عماد) وهى تبتسم فى دلال قائلة :
- كيف حالك يا (عماد) ؟

قال لها (عماد) وهو يحاول تجنب نظراتها الجريئة
إليه :

- الحمد لله .. إننى بخير .

اقترب أحد الضيوف الأجانب ليطلب (سلوى)
للرقص .. فأحست بالارتباك وحاولت أن تعتذر .
لكن (منى) تدخلت لتعتذر نيابة عنها قائلة له
بالإنجليزية :

قالت (منى) بتعال :

- يبدو أن زوجتك تجهل الكثير عن قواعد اللياقة .

قالت (سلوى) :

- وهل من اللياقة أن تطلب المرأة الرجل لمراقبتها ؟

قال (عماد) لزوجته بغضب :

- كفى !

قالت (سلوى) بعناد :

- كلاً .. يجب أن تفهم هذه الفتاة أن دورها

بالنسبة لك قد انتهى ، وأن عليها أن تبتعد عن

طريقك ، بعد أن أصبحت رجلاً متزوجاً .

قالت لها (منى) باستعلاء مصطنع :

- ما هذا الذى تقولينه ؟ أتظنين أننى أريد أن أخطف

منك زوجك ؟

صاحت (سلوى) قائلة :

- نعم .. تماماً كما جئت إلى هنا لخطف العملاء

الجدد .

قال لها (عماد) وقد أحتقن وجهه من شدة

الغضب والخجل :

- قلت كفى .. لقد جعلت الجميع هنا ينظرون إلينا .

***** ١٢٠ *****

واعتذر لـ (منى) قائلاً بارتباك :

- آسف يا (منى) .

ثم التفت إلى زوجته قائلاً :

- هيا .. دعينا نذهب من هنا .

ظل طوال الطريق صامتاً برغم ملامح الغضب التى

تكسو وجهه .

وحينما وصلا إلى البيت فجر انفعاله فى وجهها

قائلاً :

- ما هذا التصرف الهمجى الذى تصرفته ؟

سألته قائلة دون أن تهتم بانفعاله :

- هل كنت تعرف أنها ستأتى إلى هذا الحفل ؟

قال لها وقد ازداد انفعالاً :

- إتنى أسألك عن تصرفك الذى جعلنا أضحوكة

أمام الجميع .

- وهل كنت تنتظر منى أن أقف مكتوفة الأيدى

وهى تحاول استفزازى على هذا النحو ؟

- أى استفزاز هذا الذى تتحدثين عنه ؟ لقد حاولت

أن تكون لطيفة معك .. لكنك هاجمتها بطريقة تخالف

كل قواعد اللياقة .

***** ١٢١ *****

- إنك تؤيد إذن ما قالت له لى .. بدلاً من أن تشور
لكرامة زوجتك ، وتتدخل لمنعها من إهانتى ، توجه
اتفعالك لى أنا ؟

صاح قائلاً :

- أية إهانة هذه التى تتحدثين عنها !

- لقد قالت أمامك ابنى جاهلة بقواعد اللياقة .

قال لها منفعلاً :

- لقد كانت محقة فى ذلك .

قالت (سلوى) متألّمة :

- هل هذا هو رأيك فى ؟

قال دون أن يهتم بملامح الألم المرتسمة على وجهها :

- إن كل تصرفاتك تنم عن ذلك .. أنت لا تكادين

تستطيعين التعامل مع هؤلاء البدو والرعاة ، الذين

تعرفينهم فى الوادى .

قالت له بتأثر :

- إن هؤلاء البدو والرعاة أفضل بكثير من أشخاص

عرفتهم هنا .

انصرف وهو يردد قائلاً بانفعال :

- هذه ليست حياة .. لقد بدأت أمل تصرفاتك وأفعالك .

نادته (سلوى) قائلة :

- هل أنت نادم لأنك تزوجتني ؟

لكنه لم يجيبها .. بل أغلق الباب خلفه وانصرف .

بكت وهى تنظر إلى الباب المغلق قائلة :

- قل لى يا (عماد) .. هل أصبحت نادماً على

زواجك منى ؟

★ ★ ★

نظر (عماد) إلى مياه النيل الممتدة أمامه ، وهو

جالس إلى المائدة التى ضمته مع (منى) فى

الكازينو الأنيق ، الذى تحيطه الأشجار .. قائلاً :

- لماذا فعلت ذلك ؟

سألته (منى) قائلة :

- ما الذى فعلته ؟

- لقد تعمدت استفزازها .

- بصراحة .. لم أعد أطيق وجودك مع هذه المرأة .

- لا تنسى أنها زوجتى .

- لقد اتفقنا على ألا تبقى زوجتك .. أليس كذلك !

- وقد اتفقنا أيضاً على أن هذا يحتاج بعض الوقت .

- إلى متى يا (عماد) ؟ أنت تعرف أننى أحبك ..

***** ١٢٣ *****

***** ١٢٢ *****

لقد تألمت كثيراً لفراقك .. وظللت أبحث عنك طويلاً ،
وآمل أن نلتقى من جديد لتصحيح كل الأخطاء ، ولم
أكن أتصور أنك ستظهر وبرفتك زوجة أخرى سوى .
قال لها معاتباً :

- ومن الذى تسبب فى ما حدث ؟ من الذى تخلى
عن حبنا فى البداية سعياً وراء أطماع مادية ؟
قاطعته قائلة :

- هل ستتحدث عن ذلك مرة أخرى ؟ لقد اعترفت
بخطئى وأخبرتكم أنى نادمة .. وطلبت صفحك .
وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة بدلال :
- وقد صفحت ، أليس كذلك ؟
ثم عادت لتقول :

- المهم الآن أن نصحح الخطأ الذى ارتكبناه ..
لا بد أن تطلق هذه الفتاة ، وأن نعود لسابق عهدنا .
إن كلاً منا لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر ..
والإنسانة الوحيدة التى تصلح أن تكون زوجة لك هى
أنا .. وليست تلك الفتاة .
نظر إليها قائلاً :

- لكن ما ذنبها لكى أتخلى عنها هكذا ؟ وماذا عن

***** ١٢٤ *****

الوعد الذى قطعته على نفسى أمام أبيها ؟ ثم ماذا
تفعل هذه المسكينة لو طلقته وهى بلا أهل ولا أقارب ؟
قالت له (منى) بانزعاج :

- ما معنى هذا الذى تقوله ؟

- إن ضميرى لا يطاوعنى على أن أتخلى عنها بهذه
الطريقة القاسية .

- أليس هذا أفضل من أن تعيش معها بلا حب ؟
ثم إنه أصبح لديها مبلغ لا بأس به فى البنك ، بعد
أن باعت لها المزرعة وسلمتها ثمنها .. وهو مبلغ
يمكنه أن يوفر لها حياة معقولة ، ولا بد أنها ستلتقى
بشخص آخر ...

قال لها مقاطعاً :

- إن ما يؤلمنى هو أنها تحبنى .

- وأنا أيضاً أحبك .. لكن المهم هو من التى تحبها
أنت ؟

نظر إليها (عماد) وعلى وجهه ملامح التردد ..
فقد أصبح فى حيرة من أمره .. وهو لا يدري حقاً ..
ما إذا كان لا يزال متمسكاً بحبه لهذه الفتاة الجالسة
أمامه ، أم أن مشاعره قد بدأت تأخذ وجهة أخرى ؟

***** ١٢٥ *****

ولماذا لبي نداء حبه القديم ، حينما التقى بـ (منى)
غافراً كل ما ارتكبته في حقه من ذنب ؟ بالرغم من
أن أحاسيسه المتقدة ، قد انطفأت جذوتها في نفسه
وهو برفقتها الآن ؟

ثم هل هو الضمير وحده الذى يربطه بـ (سلوى)
ويدعوه إلى عدم التخلي عنها ، أم أن هناك مشاعر
أخرى تمنعه من ذلك ؟

وفجأة ظهرت (سلوى) أمامهما بعد أن برزت من
خلف الأشجار المحيطة بالمائدة .. قائلة له وعلامات
الآلم ترسم على وجهها :

- لماذا لا تجيئها يا زوجى العزيز ؟ لماذا لا تخبرها
بالحقيقة ، وتخبرها من هى الإنسانة التى تحبها ؟
لماذا لا تقول لها إن ما يربطك بى هو العطف
والشفقة ، وليس الحب بأية حال من الأحوال ؟ وإنيك
لا تدري ماذا تفعل بتلك الفتاة التى جلبتها معك من
ذلك المكان النائي .. الذى هربت إليه لبضعة أيام ،
كى تنسى هناك ذكريات حبك القديم .
أنا أقول لك .. ما الذى يتعين عليك أن تفعله ..
طلقتى يا (عماد) .

***** ١٢٦ *****

نظر إليها وهو ما زال واقفاً تحت تأثير المفاجأة
قائلاً :

- (سلوى) .. ماذا تقولين ؟

قالت باتفعال وهى تنتحب :

- أقول لك .. طلقنى .. طلقنى ..

ثم هرولت مبتعدة عن المكان ، وقد اتسابت
العبرات على وجنتيها .

★ ★ ★



***** ١٢٧ *****

١٠ - الأضغان الدافئة ..

عاد إلى المنزل وأمارات الخجل مرتسمة على وجهه ، حيث رآها وهي تحزم حقيبتها ، وتتأهب لمغادرته .

قال لها بصوت متلعثم :

- (سلوى) .. أنا .. أنا .. أنا ..

قالت له بإباء :

- هل نفذت ما طلبته منك ؟

- أعتقد أننا بحاجة لبعض التروى .

- أى تروى بعد ما رأيته وسمعته .

- 'إبنى أعترف بأننى قد أخطأت فى حقك ..

وأنى ..

قالت له :

- لقد شاركتك هذا الخطأ منذ البداية عندما تزوجتك ،

وأنا أعرف أنك لا تحبنى ، لكنى كنت مبهورة بك ..

وكنت تعنى بالنسبة لى كل العالم الذى حرمت منه ..

عالم آخر غير الذى اعتدت أن أراه وأعايشه ..

***** ١٢٨ *****

إنه العالم الذى تنتمى إليه ، والذى نقلتني إليه
عندما جئت بى إلى هنا .

والآن وقد رأيت هذا العالم ، وتعاملت معه ، لم
أعد مبهورة به كما تخيلته فى أحلامى .. كما لم يعد
يعنينى أن نظل زوجين ، لأنى رأيت العديد من
الأشخاص الذين يماثلونك فى هذا المجتمع ، ولا بد
أننى سأستطيع أن ألتقى بواحد منهم ، أحبه ويحببنى ،
ونتزوج فى ظروف أفضل وأكثر طبيعية من تلك التى
فرضت علينا هذه الزيجة .

لذا فلا تدع ضميرك يؤنبك .. ولا تظن أنك ستسبىء
إلى كثيراً لو انفصلت عنى .

- (سلوى) .. لا تدعى مشاعر الغضب تؤدى بنا

إلى الإقدام على قرار قد نندم عليه فيما بعد .

قالت له (سلوى) بمرارة :

- لا أظن أنك ستندم كثيراً .. لأنك فى أعماقك تتمنى

أن تقدم على هذا القرار .. ربما منذ اللحظة التى
التقينا فيها .

- هذا ليس صحيحاً .. إننى أقدر مشاعرك ...

قاطعتها قائلة :

***** ١٢٩ *****
[٩٤ - زهور (٧٢) مع الحب]

- لو كنت تقدر مشاعري حقاً ما فعلت هذا بي ..
لقد كنت واثقة من أنك تلتقى بها ، وأنتك مازلت
متشبتاً بحبك القديم لها .. وقد لاحظت ما طرأ عليك
من تغيير منذ أن التقيت بها في المطعم .

ربما كنت أستطيع أن أفهم عدم قدرتك على التغلب
على مشاعر حبك القديم .. لكنني لا أستطيع أن أغفر
لك جرحك لكرامتي ، وخيانتك لزيجتنا على هذا النحو .
- (سلوى) .. إنني

حملت حقيبتها ، وهي تتأهب لمغادرة الحجره
قائلة :

- إنني سأغادر المنزل الآن ؟

- إلى أين تذهبين ؟

- لا أعرف في الوقت الحالي .. لكنني سأعلمك بذلك
خلال اليومين القادمين .. وعليك أن ترسل لي ورقة
الطلاق إلى المكان الذي سأحدده لك .

وسارعت بمغادرة المنزل ، دون أن تنجح محاولاته
في استبقائها .

توجهت إلى فندق صغير وحجزت لنفسها غرفة .
وما إن أغلقت بابها عليها حتى تهالكت فوق أحد

المقاعد ، وانخرطت في بكاء حار .. لقد عادت كما
كانت شريفة خائفة في هذه الدنيا .
وها هي ذي قد أصبحت وحيدة بدون الرجل الذي
تحبه .

ما إن هدأت انفعالاتها قليلاً ، حتى بدأت تتساءل
عن مصيرها .

- إلى أين تذهب ؟ إنها لن تستطيع البقاء في هذا
الفندق طويلاً ، فالنقود التي أحضرتها معها قليلة ،
كما أنها نسيته في أثناء انفعالها ، وهي تحزم حقيبتها ،
أن تحضر معها دفتر البنك ، الذي أودعت فيه ثمن
بيع المزرعة .. كما لم تحضر إلا القليل من الثياب .

وأهون عليها ألف مرة أن تبقى شريفة .. خائفة ،
على هذا النحو من أن تعود إلى المنزل مرة أخرى ،
لإحضار أشياءها من هناك .

وبينما هي في حيرتها .. تذكرت أنها تحتفظ معها
بغنوان والدتها .. والذي جلبته معها من المزرعة قبل
رحيلها .

كان أبوها مهتماً برغم ما حدث بينه وبين أمها ،
بمتابعة أخبارها .

وقبل أن تغادر المزرعة عثرت بين أوراقه على قصاصات من ورق الجرائد ، التي كان يذهب إلى المدينة لشراؤها .. يشير بعضها إلى نجاح شركة المقاولات ، التي أسستها أمها هي وزوجها ، والتي استخدمت في تأسيسها أموال أبيها .

وفي إحدى هذه القصاصات ، كانت صورة أمها ، وبجوارها زوجها الذي كان يصغرها ببضع سنوات . وكانت هناك قصاصة أخرى تشير إلى عنوانها في (مصر الجديدة) .. وفجأة خطر لها أن تذهب للقاء أمها .

نعم .. إنها لا تعرف أحدا سواها .. وليس لها أي أقارب آخرين يمكنها أن تلجأ إليهم .

ثم إنه كان لديها دائما حنين خفي ، يدفعها للتفكير في هذه الأم ، التي تخلت عنها وهي صغيرة ، والارتقاء في أحضانها ، وإلقاء رأسها على صدرها .. بالرغم من كل ما ارتكبته في حقها ، وفي حق أبيها من أخطاء .

إنه الحنين الغريزي الغامض ، الذي يربط بين الأبناء والأمهات .

وتساءلت :

- ترى هل أصاب أمها هذا الحنين الغريزي كما أصابها ؟ أم أن عاطفة الأمومة قد أصبحت معطلة لديها .. ولم يعد لها وجود في حياتها .

تطلعت إلى صورة أمها في قصاصة الورق .. كانت لا تزال جميلة برغم أن هذه الصورة مضى عليها عامان فقط .

وبالرغم من بعض التجاعيد التي ظهرت على وجهها ورقبتها .

تأملت الصورة وهي حائرة .

إن غضب السنين الماضية ، والتي تخلت خلالها عنها ، يمنعها من الذهاب إلى هذه الأم ، التي لم تكلف خاطرها بالسؤال عنها طوال هذه السنين .

وحنينها إليها الذي حركته أزمته الحالية يدفعها إلى البحث عنها ، واللجوء إليها كماوى وحيد لم يعد لها سواه .

وقررت الذهاب إليها .

وقفت (سلوى) مترددة أمام باب الفيلا الأنيقة التي تقطنها أمها .. وقد تملكها رهبة شديدة .

وبعد قليل دخلت عليها الحجرة امرأة في منتصف
العمر ، تبدو موفورة الصحة والحيوية .. وقد ازينت
على الوجه الأمثل .

ابتسمت السيدة وهي تصافحها قائلة :
- أهلاً وسهلاً .

مدت لها (سلوى) يداً مرتجفة لتصافحها بها .
بينما دعته السيدة للجلوس قائلة :

- لقد أخبرني الخادم ، أنك تريدين مقابلي .. كما
أخبرني أنك صديقة قديمة .. بالرغم من أنني لم أرك
من قبل ، ولا أظن أن لى صديقات صغيرات السن
هكذا .

قالت لها (سلوى) بتأثر ، وقد أحزنها أن أمها لم
تتعرفها :

- هل أنت واثقة من أنك لم تريني من قبل ؟
نظرت إليها الأم بتمعن ، في حين ظلت (سلوى)
تأمل أن تقودها غريزتها إلى التعرف عليها ، حتى لو
كانت السنون قد غيرت من ملامحها ، وحولتها من
صبية صغيرة حينما تركت أمها ، إلى فتاة شابة حينما
تجدد بينهما اللقاء .

وما لبثت أن طرقت الباب حيث فتح لها الخادم ..
الذي سألها قائلاً :

- أية خدمة ؟

أجابته قائلة :

- السيدة (كوثر) موجودة ؟

- نعم يا فندم .

- من فضلك أخبرها أنني أريد التحدث إليها .

- نقول لها من يا فندم ؟

- قل لها : صديقة قديمة .

أشار لها الخادم بالدخول قائلاً :

- تفضلي يا فندم .

تلفتت حولها مبهورة بمظاهر الثراء التي تحيط
بالمكان .

وخفق قلبها بشدة وهي تحاول تمثيل مشهد اللقاء
الذي سيجمعها بقلبها .

وتساءلت :

- ترى كيف سيكون استقبالها لها ؟ وما الذي

ستفعله حينما تراها ؟

ترى هل ستتعرفها أم أنها لن تتمكن من ذلك ؟

قالت الأم بتردد :

- معذرة .. إننى يخيل لى أننى أعرفك .. وإن كنت غير واثقة من ذلك ، ألا تعرفينى بنفسك ، وتوفرين على هذه الحيرة ؟

قالت (سلوى) بصوت متهدج :

- إننى ابنتك .

ارتجفت الأم وهى تنظر إليها فى دهشة وذهول .. وقد احتواها الصمت للحظات ، عجزت خلالها عن أن تنطق بشيء .

وأخيراً تحدثت قائلة :

- (سلوى) ؟!

انتظرت (سلوى) أن تندفع أمها نحوها لتحتويها بين ذراعيها .. لكنها لم تفعل ذلك .

فعدا نظرة الدهول والتأثر التى بدت على وجهها ، لم تقدم على أى تصرف آخر ، مما هو متوقع حدوثه فى مثل هذه المواقف .

خيل إليها للحظة وهى ترى أمها تتأهب للنهوض من فوق مقعدها ، أنها ستهرع إليها لتفتح لها ذراعيها وتحتويها بينهما لتضمها إليها بقوة .

لكنها أحست بأن أمها تريد مقاومة هذه العاطفة الفياضة ، وأن تمنع نفسها من الاستسلام إليها . وتحقق ظنها عندما رأت أمها تحجم عن النهوض ، وتبقى متشبثة بذراعى المقعد الجالسة عليه .

وهكذا مرت اللحظة التى كانت تخشاها وترهبها ، دون أن تملأها تلك العواطف الجياشة التى تخيلتها .

وربما كان هذا أفضل .. لأنها هى نفسها لم تكن تعرف كيف يمكنها التعامل مع مثل هذه العاطفة ، بعد أن انقطعت العلاقة بينها وبين أمها طوال السنين الطويلة الماضية .

سألتها أمها قائلة بنبرة لا تخلو من جفاء :

- كيف اهتديت إلى ؟

قالت لها (سلوى) ببرود مماثل :

- لم يكن ذلك صعباً .

- لقد صرت شابة جميلة ، حتى أننى لم أتعرفك .

- لقد أخبرنى أبى أننى أشبهك إلى حد كبير .

نهضت الأم وهى توليها ظهرها ، متظاهرة بالنظر إلى المرأة قائلة لها :

- وما أخباره ؟ أعنى أباك .

- لقد مات .

خيل إليها أن أمها قد تحولت إلى تمثال جامد للحظات ، وهي تحديق في المرآة .. ثم ما لبثت أن قالت بصوت يغلفه الحزن :

- رحمه الله .

والتفتت إليها وقد بدا على وجهها ملامح التأثر الشديد .. ثم قالت لها :

- متى حدث هذا ؟

- منذ شهرين ونصف تقريباً .

بدا على وجهها شيء من التردد وهي تقترب من ابنتها .. ثم ما لبثت أن همست لها قائلة :

- هل سامحني على ما فعلته معه ؟

قالت لها (سلوى) وهي تواجهها بنظرة صلبة :

- لا أظن ذلك .

أغمضت عينيها وقد ألمها ما قالت ابنتها .. ثم ما لبثت أن قالت وهي تعود لتجلس على المقعد الذي بجوارها :

- كنت أتمنى أن يسامحني قبل موته .

سألته (سلوى) قائلة :

- ولماذا لم تسعى لذلك ؟ لماذا تجاهلت وجوده

ووجودي طوال هذه السنين ؟

ثم لماذا تخلت عنه وعنى بهذه الطريقة القاسية ؟ سألتها أمها قائلة :

- هل جئت إلى هنا اليوم .. وبعد كل هذه السنين ،

لكي تحاسبيني على ما مضى ؟

- بل إنني أحاول أن أعرف .

- ما الذي تريدني أن تعرفيه ؟ هناك أشياء في هذه

الدنيا يصعب تفسيرها ، وتدينها كل المقاييس

الأخلاقية .. لكنها لا تخضع لأي مقاييس أخلاقية ،

لأنها تكون دائماً أقوى من الإنسان .

وكما يصعب تفسيرها .. يصعب الدفاع عنها .

- ماذا تعنين بذلك ؟

- لقد أحببت .. أحببت الرجل الذي هو زوجي الآن ..

في الوقت الذي لم أحب فيه أباك حباً حقيقياً .. هذا

هو الأمر ببساطة .

لقد سرت وراء اختيار قلبي .. ولم يستطع أي

رادع آخر أن يحول بيني وبين السير وراء هذا

الاختيار .

قولى عنى ما تشائين .. قولى إبنى كنت مسلوبة
الإرادة .. وإبنى كنت أمأ سيئة .. وزوجة جاحدة ..
لكن هذا ما حدث .

لقد فضلت أن أتهم بكل الاتهامات البغيضة ، على
أن أحيأ بجسدى مع إنسان ، فى الوقت الذى أحيأ فيه
بمشاعرى مع إنسان آخر .

قالت (سلوى) وقد تحركت فى نفسها جراح
السنين :

- لكن هذا لم يمنعك من الاستيلاء على أموال
الشخص الذى لا تحبينه ، والذى كان زوجاً لك فى يوم
من الأيام ، لتمنحها للشخص الذى فضلته عليه ..
والذى أصبح زوجك الحالى .. تلك الأموال التى قاسى
وشقى من أجل جمعها ، والتى تحيين بفضلها أنت
وزوجك فى تلك الرفاهية وذلك الثراء .

صاحت أمها فى وجهها قائلة :

- اخرسى .

صاحت (سلوى) بدورها فى وجه أمها قائلة :

- أليست هذه هى الحقيقة ؟

انفعلت أمها قائلة :

- غادرى منزلى .. هيا اخرجى .
قالت (سلوى) وهى تتأهب للانصراف :
- كان من الخطأ أن آتى للقائك منذ البداية .
وهمت بالانصراف .. لكن أمها نادتها بصوت متهذج
قائلة :

- (سلوى) .

اقتربت منها وملامح التردد ما زالت على وجهها ،
قائلة وعيناها مغرورقتان بالعبرات ، التى رأتها ابنتها
فى عينيها لأول مرة :

- كلا .. لا تتصرفى .. فقد تمنيت هذا اللقاء منذ
سنين .

ثم اندفعت لتحتويها بين ذراعيها وهى تضمها إليها
بقوة ، وهى تبكى قائلة :

- لقد افتقدتك كثيراً يا بنيتى .

بكت (سلوى) بدورها ، وقد تلاشت كل أحاسيسها
الغاضبة والثائرة ، وهى بين أحضان أمها قائلة :

- وأنا أيضاً كنت مشتاقة لأحضانك الدافئة يا أمى .

★ ★ ★

١١ - عودي إليّ ..

تحدثت أمها إليها قائلة :

- لقد بحثت عنك طويلاً يا بنيّتي ، ولا أريد منك أن تعتقدى أنني قد أهملتك تماماً طوال هذه السنين .. لكنى لم أعثر لك أو لأبيك على أى أثر .

روت لها (سلوى) الأحداث التي مرّت بها منذ أن اصطحبها أبوها معه إلى الوادى الجديد ، وحتى مغادرتها لمنزل زوجها .. وأفاضت فى حديثها بكل مشاعر الابنة التي تحتاج لأن تبث همومها وأحزاتها إلى أمها .. وبكل اشتياق السنين التي حرمت خلالها من التعبير عن هذه المشاعر الطبيعية ، فى ظل هذه الظروف التي تمرّ بها .

وما لبثت أن تهذج صوتها وهي تقول لأمها :

- إبنى بحاجة إليك .

قالت لها الأم وهي تربت على ظهرها :

- وأنا لن أتخلى عنك .

مرّت خمسة أيام على وجودها مع أمها فى منزلها .. وكانت الأم خلالها تعمل جاهدة على معرفة الكثير عن الظروف التي مرّت بها ابنتها وعن الفتاة التي أحبها زوجها .. وقد أدركت أن ابنتها تحب زوجها حباً عميقاً .

وبرغم مظاهر الحنان التي كانت تبديها أمها نحوها ، محاولة تعويض سنين الفراق التي باعدت بينهما ، إلا أن (سلوى) لاحظت أنها كانت تبدو أحياناً مضطربة وحائرة لسبب ما .

كما لاحظت ضعف أمها إزاء زوجها ، وتعالیه عليها أحياناً ، وما لبثت أن سمعته وهو يتحدث إلى أمها ذات يوم قائلاً :

- أما زالت هذه الفتاة هنا ؟

قالت له الأم بنبرة خافتة :

- وإلى أين تريد منها أن تذهب ؟ إنها لا تعرف

أحدًا هنا سوى ؟

قال لها غاضباً :

- هذا .. ليس من شأنى .

- لكنها ابنتى .. ولا يمكننى التخلّى عنها .

قال لها متهكماً :

- لقد تخلّيت عنها من قبل .. فما الذى طرأ ؟

قالت له محتدة :

- أنت السبب .. هل نسيت أنك قد اشتترطت على

ألا أضمها لى بعد أن أخذها والدها ؟ وأنتك قد جعلت

هذا الشرط مقابل استمرار حياتنا الزوجية ؟

قال لها :

- أبوها كان أولى بها .. ثم إبنى لم أكن مستعداً

لكى يكون هناك مبرر لوجود أى اتصال بينك وبين

زوجك السابق ، مع احتفاظك بهذه الابنة .. فضلاً عن

أننى تصوّرت أنك ستنجبين لى أبناء يتعين عليك أن

تفرغى لتربيتهم .

قالت له وقد اكتست نبرات صوتها بالحزن :

- وها هو ذا قد مات .. ولم يعد لهذه الفتاة أحد

سوى أمها ، كما أننى لم أفصح فى أن أنجب لك أبناء ..

فلا يوجد ما يحول إذن دون بقائها معى .

صاح قائلاً :

- كلا .. ليس هذا هو ما اتفقنا عليه .. فلتعد إلى

زوجها .. إبنى لا أريد بقاء هذه الفتاة هنا .

***** ١٤٤ *****

قالت له وهى تخشى أن تسمع ابنتها هذا الحوار :

- اخفض صوتك .. لئلا نسمعنا .

علا صوته مرة أخرى قائلاً :

- أنا حرٌّ فى منزلى .

صاحت الأم فى وجهه قائلة :

- لا تنس أنه منزلى أنا أيضاً ومن حق ابنتى أن

تعيش فى منزل أمها .. وأن تلجأ إليه فى أى وقت

تشاء .

قال لها محتدداً :

- منزلك .. هل نسيت أن عقد هذه الفيلا باسمى ،

وأن كل محتوياتها ملك لى ؟

- لكنك اشتريتها بأموالى .

قال لها ساخرًا :

- أموالك؟! أى أموال هذه التى تتحدثين عنها ؟

- الأموال التى جعلتك صاحب شركة مقاولات ..

وصاحب سيارة فارهة .. وفيلا أنيقة .

قال لها منفعلاً :

- لقد صنعت كل هذا بكدى وجهدى .

- وبمالى .

***** ١٤٥ *****

قال لها وهو يعود إلى نبرته التهكمية :

- تقصدين بمال زوجك السابق ؟

- نعم .. بمال زوجي .. زوجي المسكين الذي ظللت
تحوم حول زوجته ، بعد أن نصبت شباكك حولها ..
وظللت تهمس كالشيطان في أذنها ، حتى جعلتها
تستسلم لإغرائك ، وتتخلى عن زوجها وابنتها من
أجلك .. ثم تسلمك كل شيء لتتصرف وتتحكم فيه
كيفما تشاء ، بعد أن حولتها إلى إنسانة مسلووبة
الإرادة ، لا تستطيع أن ترفض لك طلباً .

والحمد لله أنك قد اعترفت بلسانك ، أن هذه
الأموال التي صنعت منك صاحب شركة مقاولات ، هي
أموال زوجي السابق ، وهذا يعني أن لابنته الحق في
كل ما ترفل فيه من نعيم .

احتد عليها قائلاً :

- لها الحق .. أي حق .. إن كل شيء هنا باسمي .

- هذه كانت غلطتي .. لقد كنت غافلة حينما أسلمتك

زمام أمري منذ البداية .. لكن الحمد لله على أنني لم
أسلمك شركة المقاولات كما فعلت ببقية أموالى
وممتلكاتى الأخرى .

قال لها :

- وهل نسيت أنني شريك لك فيها ، وأن لدى توكيلاً
بالتصرف فيها وإدارتها على النحو الذي أراه ؟
- ماذا تعنى ؟

قال بحدّة :

- أعنى أنني أستطيع أن أجردك في لحظة واحدة
من كل شيء ، وأن ألقى بك وبابنتك في الشارع .
قالت له الأم باحتقار :

- يا لك من كلب وضع !

ما إن استمعت (سلوى) إلى ذلك ، حتى سارعت
بجمع حاجياتها وغادرت المنزل دون أن تشعر أحداً
بذلك .

فلم ترد أن تتسبب لأمها في أية مشكلة .. كما
أيقنت أنه لم يعد لها مكان في هذا المنزل .

سارت (سلوى) في شوارع المدينة على غير
هدى .. وقد عادت إلى سيرتها الأولى .

فكرت في أن تعود إلى منزل زوجها .. على الأقل
لكى تسترد دفتر البنك ، حتى يمكنها الإنفاق على
متطلباتها ، والبحث عن مسكن لها .

لكن كبرياءها منعها من ذلك .

وفي أثناء ذلك ، كانت العلاقة قد عادت لتتوطد بين (عماد) و (منى) برغم عدم ارتياحه التام لهذه العلاقة .

وقد أخذت تلح عليه قائلة :

- (عماد) .. لا يمكننا أن نبقى على هذا الوضع طويلاً .. لا بد أن نتخذ موقفاً حاسماً بشأننا .

- لا بد أن أعثر أولاً على (سلوى) .. لكى ننهي الأمر بيننا .. قبل أن نتخذ أى إجراء بشأننا .

قالت له بضيق :

- إننى لا أفهم .. ما الذى يمنعك من تطبيقها ؟ وما الذى يحول دون ارتباطنا ، دون السعى وراء البحث عنها ؟

قال لها وقد ضاق بدوره من إلحاحها :

- لا يمكننى التخلّى عنها بهذه الصورة القاسية ..

لا بد أن أطمئن أولاً على مصير هذه الفتاة المسكينة .

لقد أخبرتك من قبل أننى عاهدت أباهما قبل موته

على أن أزعاهما وأتعهدهما بالرعاية

قالت له منفعلة :

- وإلى متى ستظل أسير هذا العهد بينك وبين أبيها ؟

ثم ما ذنبى أنا فى هذا العهد ؟

لا بد وأن تتخذ موقفاً حاسماً وسريعاً بشأن زواجنا ، خلال الأيام القادمة ، وأن تنزع هذه الفتاة من تفكيرك تماماً .

لم يستطع أن يخبرها بأنه لا يستطيع ذلك .. وأنه ليس ضميره فقط هو الذى يحركه للبحث عنها ، وبذل أقصى الجهد للعثور عليها ، ولكن حنينه إليها وافتقاده لها ، يدفعه إلى ذلك دون أن يدري ، وأن جزءاً من نفسه يهفو إليها ، ويدعوه إلى التمسك بها .

وفي أثناء ذلك كانت (سلوى) قد استقرت على العودة إلى الوادى الجديد .

فهو المكان الوحيد الذى تعرفه ، والذى يمكنها أن تلجأ إليه فى الوقت الحالى .

★ ★ ★

وقفت (سلوى) من بعيد ، ترقب المزرعة التى كان يمتلكها أبوها .. وهى تستعيد ذكرياتها القديمة .. وتبتسم بمرارة ، حينما تخيلت أنها ستحصل على السعادة التى تحلم بها لو فارقت هذا المكان .

وها هي ذى قد عادت إلى المكان ذاته حاملة معها
تعاستها .

وبينما هي في وقفها سمعت صوتاً يناديها قائلاً :
- ست (سلوى) .

التفتت وراءها قائلة :

- (رابحة) !!

قبلتها (رابحة) بشوق قائلة :

- كيف حالك يا ست (سلوى) ؟ لقد اشتقت إليك

كثيراً .

- وأنا أيضاً يا (رابحة) .

- لكن .. ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

- سأقص عليك ذلك فيما بعد .. لكن قولى لى ..

ما أخبار المالك الجديد للمزرعة ؟

- إنه لا يقيم بها كما كان الحال بالنسبة لك ولأبيك

رحمة الله عليه ، فهو يقطن بالمدينة .. لكنه يأتى

إليها يومياً وبصحبه المشرف ، ليظمن على سير

العمل بها .

- أتعنين أنه عين عمالاً زراعيين للعمل بها ؟

- نعم .. فهو لم يشتر مزرعة والدك فقط ..

بل عدة مزارع أخرى فى الوادى .. ويقال إنه شخص

ثرى .. كما أنه يهدف إلى شراء بعض الأراضى غير

المستصلحة هنا ، واستتجار بعض الشباب للعمل بها .

- هل يسمح لى بالعمل فى المزرعة ؟

نظرت إليها (رابحة) بدهشة قائلة :

- أتريدى أن تعملى فى المزرعة التى كان يمتلكها

أبوك ؟

قالت لها (سلوى) وهى تتجاهل نظراتها :

- نعم .. وما المانع فى ذلك ؟ إننى بحاجة للعمل ..

ولا أعرف أى مكان آخر يمكننى أن أعمل فيه ، سوى

هذا المكان .

لقد مارست العمل هنا ، ولدى دراية كاملة بزراعة

الموالح .

قالت (رابحة) وقد ازداد استغرابها :

- لكن .. ماذا حدث بشأن زواجك ؟ وكيف تتركين

زوجك وتأتين للعمل هنا ؟

- أرجوك يا (رابحة) لا تسألينى عن شىء الآن ..

فقط قولى لى .. هل يمكننى أن أعمل هنا ؟

- لا أدرى .. فكل الذين يعملون هنا من الرجال .

- هذا لا يهم .. من فضلك دعيني أبيت لديك الليلة ،
وغدا رافقيني لمقابلة صاحب المزرعة الجديد .

قالت لها وهي فى حيرة من أمرها :

- على الرحب والسعة يا ست (سلوى) .. هذا
شرف كبير لنا .

★ ★ ★

اجتاز (عماد) البوابة الأمامية للمستشفى ، وهو
ما زال يتساءل عن سر هذه الدعوة الغريبة ، التى
تلقاها بالأمس لزيارة سيدة مريضة ، تنزل بإحدى
حجرات المستشفى .

لكن الاتصال الهاتفى الذى تلقاه من هذه السيدة ،
والذى أحت من خلاله على ضرورة حضوره ، جعله
يوافق على هذه الزيارة .

سأل إحدى الممرضات قائلاً :

- من فضلك أين يمكننى أن أجد الغرفة رقم (١٧) ؟
أجابته قائلة :

- فى الدور الثانى .

صعد إلى الدور الثانى ، حيث طرق باب الحجرة
ودخل .. حيث وجد سيدة متوسطة العمر ، راقدة على

***** ١٥٢ *****

الفراش ، وملامح المرض واضحة على وجهها ،
فسألها قائلاً :

- السيدة (كوثر) .

نظرت إليه قائلة بإعياء :

- لا بد أنك الأستاذ (عماد) .

أجابها قائلاً :

- نعم .

- أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك بطلب زيارتى .

قال لها وهو يجلس على المقعد المجاور لها :

- أبداً .. أرجو لك الشفاء .

- الحمد لله على كل شىء .. لا بد أنك تتساءل

عمن تكون هذه السيدة المريضة ، التى طلبت منك أن
تزورها .

قال لها متحرجاً :

- لا أستطيع أن أخفى عليك ذلك .

- ابنى والدة زوجتك .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- والدة زوجتى .. لكنها أخبرتنى أن والدتها قد

ماتت .

***** ١٥٣ *****

قالت له بأسى :

- كانت لها أسبابها التي تدعوها لذلك آنذاك ، لكن
كما ترى أننى مازلت على قيد الحياة .. ولم يتذكرنى
الموت بعد .. برغم أننى صرت أرجوه ، وربما لحكمة
أرادها الله .

- لكن لماذا أخفت عنى (سلوى) أنك على قيد
الحياة ؟

- دعك من هذا .. وقل لى ، هل عادت إليك
زوجتك ؟

- لقد بحثت عنها كثيراً ولم أجدها .

ترقرقت عبرة فى عين الأم قائلة :

- مسكينة يا بنيتى .. ترى أين أنت الآن ؟

- هل جاءت إليك ؟

- نعم .. لكنها سمعت نقاشاً دار بينى وبين زوجى

جرح إحساسها ، وغادرت المنزل على إثره .. فلم

يكن راغباً فى بقائها .

قال (عماد) وقد اعتراه القلق :

- لكن .. لماذا لم تحاول الاتصال بى ؟ ولماذا لم

تحاولى أنت ذلك من قبل ؟

- إن الفتاة شديدة الاعتزاز بكرامتها .. وقد شعرت
بأنك لم تعد تريدها ، وأن ما يربطك بها هو عطفك
عليها ، وليس رابطة زواج حقيقية .. وبالنسبة لى فقد
كنت أنتظر اللحظة المناسبة للاتصال بك والعمل على
التوفيق بينكما .

فابنتى تحبك حباً جمّاً .. وأظن أنك تبادلها بعض
الحب .

- لا يمكننى أن أنكر ذلك .

سألته قائلة :

- وماذا عن الفتاة الأخرى ؟

- هل أخبرتك عن ذلك ؟

- ليس هذا فقط .. لقد تحريت عن هذه الفتاة عن

طريق مصادرى الخاصة .. وصدقنى إنها لا تصلح

لك .

إنها ما زالت تتأرجح بين أنانيتها ورغبتها فى ألا

تتركك لسواها .. وبين طموحها المادى المتأجج .

وأظن أن الجانب السيئ الذى رأيته منها من قبل ،

سيعود للظهور من جديد ، لتقلب حياتك إلى جحيم .

إنها تذكرنى بنفسى حينما كنت فى مثل سنها .

كنت إنسانة أنانية .. مادية .. متقلبة .. مستعدة
للتخلي عن كل المبادئ .. وكل القيم ، فى سبيل
تحقيق مصلحتى الشخصية واستجابة لهوى نفسى .
والنتيجة هى ما تراه أمامك الآن .

فقدت زوجاً وفياً مخلصاً .. وحرمت من ابنتى ..
وتزوجت من إنسان وضع .. استولى على كل أموالى
وباع كل ممتلكاتى ، ثم فرَّ هارباً إلى الخارج مع فتاة
أخرى بعد أن ألقى لى بورقة الطلاق .

والنهاية كما تراها أمامك الآن .. إنسانة فقيرة
ومريضة مصابة بأزمة قلبية ضاع منها كل شىء ،
لتدفع ثمن أطماعها وخيانتها .

لقد انتقم الله لزوجى السابق ، بعد أن استوليت
على كده وعرقه ، وسلمته إلى ذلك الشيطان ، لترتد
لى نفس الطعنة التى سددها لزوجى من قبل .

- أنا آسف لما حدث لك .

- لا تأسف .. فهذا هو ما أستحقه تماماً .

لقد رويت لك تجربتى لتكون عبرة لك .

ولا تظن أنى أنحاز لابنتى .. لكننى أؤكد لك أن
تلك الفتاة الأخرى ، لن تكون لك زوجة صالحة بأية

حال من الأحوال ، وأن (سلوى) هى الفتاة الوحيدة
التي تحبك بإخلاص حقيقى ، وأنها الوحيدة التى يمكنها
أن تحافظ عليك .. وأن تكون لك نعم الزوجة .. وفى
النهاية لك حرية الاختيار .

تنهد (عماد) قائلاً :

- إننى أصدقك .. ولكن المهم الآن ، أين أجد
(سلوى) ؟

- ألم تخبرك بمكان ما ، يمكن أن تذهب إليه ؟ أو
كانت ترتاح إليه ؟

قال لها وهو فى حيرة :

- كلا .. لا أعرف مكاناً تفضله سوى ذلك النبع .

وتنبه من حيرته فجأة قائلاً :

- نعم .. النبع .. أيمكن أن تكون قد ذهبت إلى
هناك ؟

- أذهب لتبحث عنها هناك .. ربما عثرت عليها .

قال لها وهو يتأهب لمغادرة الحجرة سريعاً :

- نعم .. سأفعل .

استوقفته الأم قائلة :

- لو التقيت بها أخبرها أنى مازلت أحتفظ لها

بحقها فى مال أبيها ، وأننى لم أنس ذلك مطلقاً ، منذ

أن فارقتنى وهى طفلة صغيرة ، كما أن هذا المال هو
الشيء الوحيد ، الذى لم أسمح لذلك الرجل الذى
تزوجته أن يستولى عليه أو حتى يعلم بوجوده .
وأنها تستطيع أن تسترد هذا المال وقتما تشاء ..
وقد تركت لها رسالة توضح ذلك ، والطريقة التى
يمكنها بها الحصول على هذا المال سواء عشت أو مت .
- المهم أن نعثر عليها أولاً .

- ستعثر عليها بإذن الله ، إننى أشعر بذلك .
واستوقفته مرة أخرى قائلة :

- وأخبرها بشيء آخر .. قل لها إن أمها تحبها ..
وإن حبها لها لم ينقطع أبداً بالرغم من كل شيء .
أمسك (عماد) بيدها قائلاً :

- سأخبرها .. سأخبرها بكل شيء .. فقط واصلى
الدعاء لكى أعثر عليها .

★ ★ ★

هرع (عماد) إلى الواحة وهو يلهث من شدة
الركض .

وكم كانت سعادته حينما رآها جالسة بجوار النبع ..
وفى نفس المكان الذى اعتادا أن يجلسا فيه .

كانت شاردة ونظراتها الحزينة تحديق فى مياه النبع

***** ١٥٨ *****

الصافية ، على نفس النحو الذى كانت عليه حينما
أتى إلى هذا المكان .

سار على أطراف أصابعه ليقرب منها قائلاً :
- تماماً .. كما ظننت .. لقد عرفت أننى سأجدك
هنا .

هبت واقفة وقد فوجئت به قائلة :
- (عماد) !!!

مد لها يده قائلاً :

- زوجتى الحبيبة .

تراجعت قائلة :

- لكن .. كيف .. كيف توصلت إلى مكاني ؟

- ابتسم لها قائلاً :

- ألهمنى قلبى .. وباركتنى دعوات امرأة طيبة

تحبك .. وتتلهم مثلى لرؤيتك .

إنها أمك التى تنتظر عودتك معى .

- أمى !!

- نعم .. إنها تحتاج إليك الآن بأكثر من أى وقت

مضى .. تماماً كما أحتاج أنا إلى وجودك فى حياتى

مرة أخرى .

- وحببيتك السابقة ؟

***** ١٥٩ *****

- لم يعد لها وجود فى حياتى .. صدقيني لم يعد
لى سوى حبيبة واحدة لم أكن أعرف قيمتها كما
أعرفها الآن .. ولم أحس بأننى أفقدتها بشدة إلا بعد
أن ابتعدت عنى وهى زوجتى .

قالت له بدلال :

- الفتاة البريئة .

احتواها بين ذراعيه قائلاً :

- بريئة .. أو متمدينة ، إنها حبيبتي فى شتى
الأحوال ، ولن أسمح لها بالابتعاد عنى بعد ذلك أبداً .
وأمسك بيدها قائلاً :

- هيا بنا لنعود إلى المنزل .

لكنها استوقفته قائلة :

- ألا نجلس بجوار النبع قليلاً ؟

ابتسم قائلاً :

- بلى .. فقد اشتقت لجلوسنا معاً فى هذا المكان ..

إنه نبع الحب .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

المؤلف



ا. شريف شوق

السلسلة أئوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

نبع الحب

التقيا بجوار النبع ..
كانت زهرة فى صحراء
أحزانه ، وكان قطرات ندى بعثت
الحياة فى مشاعرها .. ترى
أيجف نبع الحب ؟ أم يبقى
متدفقا فى قلبيهما ؟

72

التمن فى مصر ١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم